المشرق

نابولي وپمپاي

عجالة كتبها في اثناء السفر الاب م. كولنجت اليسوعي مدرّس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

١

لنابولي من البحر مرأى فتّان. تترنّح لهُ الاعطاف ويهتزّ الجنان. وكم قرأنا ذلك في أسفار المتجوّلين. وسمعناهُ من افواه المخبرين. على انَّ السمع دون العيان. وشاهد النظر أدلُّ على الحقائق من رائد الآذان

كان دخولنا في جون نابولي في صباح ٢٤ ايلول من السنة الجارية فما اجتازت سفينتنا المعبر الواقع بين جزيرتي اسكيا وكَبري (التي اصطفاها طيباريوس قيصر لسكناهُ وملذَّاتهِ) حتى بهرت ابصارنا مناظرُ المدينة بمحاسنها الغرَّاء. وبقدر ما كنَّا نقترب منها كانت تزيد مشاهدها رونقاً وحسناً فنرى بيوتها الفخيمة وقصورها المنيفة منتظمة على شكل الدرج ومستندة الى الهضاب البهيجة المنظر وفي خلال هذه المحاسن الرائقة قلاعٌ اثريَّة ضاربة الى السُّمرة تنذر بالاهوال. وممَّا يزيد هذه المدينة بهاء ورونقاً امتداد مبانيها وأَرصافها على مسافة بعيدة وللبلدة سوادٌ وارباضٌ تراها منتشرةً على جانبيها كانها تمثّل هلالًا يدخل قرناهُ في عباب البحر. ومن هذه الارباض ما توارد ذكرهُ وشاع اسمهُ كسُورَنت (Sorrente) وكَستلَّامار (Castellamare di Stabia) وليتره (Lettere) وبرج الرومي (Torre del Greco) وپرتيشي (Portici) ورِزينا (Resina) يعلوها بركان الوسوف فاتحًا فوقها فوهتهُ النارية. واذا مِلت بطَرْفك الى الشمال رأيتَ جبل پوسيليپ وما يكتنفهُ من المصايف الرومانيَّة القديمة وتبادر الى فكرك انَّ هناك ضريح ڤيرجيلوس الشاعر اللاتينيّ الشهير. ومجمل القول انَّ النظر لا

يقع على هذه المناظر البهيّة حتى يحيا في القلب ذكر فطاحل الاقدمين وما سمعناهُ في شبابنا او قرأناهُ عنهم من الاعمال الخطيرة

وبينما كانت هذه الخواطر تهجس في ضمائرنا اذ بلغت السفينة ميناء نابولي والقت ثمَّ مراسيها فاحدق بنا على الفور عدد لا يُحصى من الزوارق وتسوَّر البحّارون سطحَ الباخرة بجلَب عظيم · وكانت في اثناء ذلك تشنف آذاننا اصواتُ آلات الطرب اتت بها جوقةٌ من المغنّين ليرتزق بها اصحابها وكانت نغماتهم الرخيمة تزيد هذه المعازف حسناً فاطربوا مسامعنا بالحانهم الوطنيّة وتددهم الشجيّة لم ينقطعوا عنها حتى نفحهم الركاب ببعض الدريهمات · والحقّ يقال انَّ لاهل نابولي النفوس البهجة والخواطر الطيبة وهم ارباب الفنون الجميلة لولا انَّ الفقر المدقع ضاربٌ اطنابهُ في مرابعهم فلا تكاد تمرّ في ساحة او شارع الّا يتعقّب آثارك قوم من الصعاليك يطلبون منك حسنةً

واذا استثنيت بعض ازقّة نابولي الحرجة ومعابرها القذرة الشبيهة بما نعهدهُ في مدننا الشرقيّة القديمة تجد فيها ما تردان به حواضر المدن كالساحات الفسيحة والشوارع الرحبة والآثار البديعة والقصور الشاهقة والمتنزّهات الرائقة نخصُّ منها بالذكر النزهة التي تحاذي البحر وتنتهي الى سفح جبل پوسيليپ فانها جامعة لشتات المحاسن يزدحمُ فيها الاهلون لترويح النفس · ولنابولي ايضاً قصرها الملكيّ الشهير والمتاحف الفاخرة والكنائس الجميلة

الّا انّنا نضربُ الصفح عن وصف كلّ هذه الآثار لأنَّ مثلها شائع في غيرها من امّهات المدن · وانّما نجتزئ بذكر كنيستها الكاتدرائيّة الكبرى المشيَّدة لذكر القديس ينُوار او ينايِر (Janvier) والقديس المذكور كان اسقفاً على بنونتي (Bénévent) في عهد ديوقليسيان الملك الروماني واستشهد بعد العذابات والتنكيل فنُقل جسمُ الطاهر بعد وفاته الى نابولي ولاكرامهِ بُنيت هذه الكنيسة العظمى

وقد اسعدنا الحظّ بان نحضر عيدهُ الحافل لرسوّ سفينتنا في نابولي في ١٩ ايلول وهو اليوم الموافق لهذا العيد الجليل · ومن العجائب الغريبة التي تجري في هذا النهار معجزةٌ باهرة يتقاطر لنظرها الجماهير المجمهرة من الاجانب فضلاً عن اهل المدينة يعدُّها كلُّ من شهدها كدليل لامع على صحّة الدين الكاثوليكيّ

وذلك انَّ هامة الشهيد المذكور بعد ان قطعها المغتصبون بالسيف أُودعت في تمثال



الصَّوْنة التي يُحفَظ فيها دم القديس يَنُوار الشهيد

بديع الشكل غالي الثمن . وكان المؤمنون المعاصرون لهُ جمعوا في حين قَطْع رأسهِ كميَّةً وافرة من دمهِ الزكيّ جعلوهُ في قنينتين وختموهما بإحكام ووضعوهما في صَونة (شماع) بديعة العمل (انظر صورتها) . فاذا وقع عيد القديس أُخرجت القنينتان من صَونتهما المقفلة باربعة اقفال (١ ثمَّ تقرَّبان من جمجمة القديس الشهيد وتُعرضان على

١) ولكلّ قفل مفتاح يُصان في محلّ منفرد وعند اشخاص معلومين لئلّا يتمكَّن احد من فتح الصونة . فالمفتاح الاوَّل عند اسقف المدينة والثاني عند حاكمها والثالث عند مجلس البلدية والرابع عند الكاهن قيِّم الكنيسة

مرأى الشعب الذي يشرع في الصلاة فلا يمرُّ على ذلك برهة قليلة حتى يتحوَّل الدم الجامد المودع فيهما الى دمٍ سيَّالٍ يترقرق كالموائع يخال للناظر انهُ سال في تلك الساعة من عُنق الشهيد

وكان الشعب منذ غلس ذلك النهار قد بادر الى الكنيسة فضاقت بهِ مع رحبها. فبقي هنـاك ساعات طويلةً يصلّي الى الله وهو ينتظر حدوث المعجزة بفروغ الصبر. فلمَّا آنت الساعة لم يُخيّب الله املهُ فماع الدم واخذ المؤمنون يمرّون بازاء القنينتين ليتبرَّكوا باستلامهما. وهذه الاعجوبة تحدث مدَّة ثمانية ايَّام متواليـة لا يصعب على احد ان يتحقَّق صحَّتها (١. وقد تبينتُ الامر بنفسي مرَّتين وعاينتُ القنينتين بتأنٍّ فوجدتُهما مختومتين ختمًا محكمًا والدمُ فيهـما مائع قانئ. وترى الزوّار يوافون زرافاتٍ مدَّة هذه الثمانية الأيّام لاكرام هذه الذخيرة ويباركون الله في اوليائهِ القديسين

وان سألنا احد من اي زمن تقرَّرت هذه العجيبة وهل التاريخ يذكرها في الاجيال الغابرة. أجبنا انَّ الامر راهن دوَّنهُ المؤرخون منذ نحو الف سنة فانَّ كتبة القرن العاشر يذكرون ذلك وهم يروونهُ كشيءٍ قديم

امَّا الكنيسة الحاليَّة فترتقي الى القرن الثالث عشر وهي من الأبنية الفاخرة العجيبة والفسيحة الارجاء تزينها العواميد العديدة من حجر الصوَّان المحبَّب. وفي جانبها معابد واسعة كل منها بمثابة كنيسة كبرى. ومما يلحق بهذه الكنيسة عددٌ وافر من ذخائر القديسين واواني التقديس والامتعة الثمينة

ولاهل نابولي تعبُّد عظيم لشفيع مدينتهم القديس يَنُوار يجلُّونهُ ويكرمونهُ غاية الاكرام امَّا القديس فانهُ لا يضنُّ عليهم بنعمهِ الغزيرة وكثيرًا ما نجَّاهم من البلايا والمحن وخصوصًا من حُمَم الوسوف حين اوشك هذا البركان ان يجعل مدينتهم خرابًا يبابًا

ولا نجهل انَّ بعض الكفرة قد استخفُّوا بعبادة اهل نابولي ونسبوها الى حرارة دمهم او موقع بلدتهم. كما انَّهم سخروا من اعجوبة دم القديس يَنُوار وتقوَّلوا في شرح ذلك الاقاويل الكاذبة (٢ التي هي اغرب من الاعجوبة نفسهـا وكلُّ ذلك لينفوا وجود

---

١) وهي تحدث في عيدين آخرين يرد فيهما ذكر القديس ونقل ذخائره

٢) كما ورد في كتاب بعض الملحدين زعم انَّ القناني لا تتضمَّن دمًا بل اثيرًا كبريتيًّا (éther sulfurique) مصبوغًا بحمرة ومشبعًا بمزيج من السبرماستي (sperma ceti). وهو قولٌ

المعجزات كأنهُ تعالى لا يستطيع بقدرتهِ السامية ان يدبّر مخلوقاتهِ كما يشاء ويجري على يد اوليائهِ الخوارق اذا ما دعاهُ الى عملها داعٍ اهلٌ بجلالهِ عزَّ وجلَّ. فبئس الكفر وساء الكفرة الذين بلغ بهم حمقهم الى ان ينكروا ادلّة الحواسّ نفسها وشواهد ملايين من البشر على اختلاف رتبهم وجنسيّاتهم وذلك مدّة عشرة اجيال بلا انقطاع

٢

هلمَّ بنا الان نتجوَّل في ظهراني نابولي وتزور بقايا مدينةٍ شهيرةٍ غمرتها حمم بركان الوسوف فجعلها كقبرٍ مرصوص بقي على تلك الحال مئين من السنين. ألا وهي مدينة بُمباي التي عند لحف البركان المذكور على مسافة ٢٤ كيلو مترًا من نابولي. ولهذه المدينة ذكرٌ في التاريخ نحو ستّة اجيال قبـل المسيح سكنها اوّلًا الأُسك (Osques) ثم السمنيّون حتى جعلها الرومان قبل خرابها بمئة وثمانين سنة مستعمرةً دعوها «كرنيليا ڤنيريا بمباي» نسبةً الى رئيس الجمهوريّة الرومانيّة كرنيليوس سيلاً والإلهة ڤانوس اي الزهرة ثمَّ القائد بمبيوس. وكان عدد سكّانها نحو عشرين الفًا ويتبادر اليها في اوان الصيف اعيانُ الرومانيين. وكان لشيشرون الخطيب الروماني فيها مصيف ذكرهُ في رسائلهِ

ولمَّا كان عصر بعض ايّام سنة ٧٩ في فصل الشتاء(١) واذا بسحابةٍ غمّاء تصاعدت الى عنان السماء من فوهة البركان فانتشرت على البحر والسهول المجاورة. وقد وصف بلينيوس الصغير في رسالتين ارسلها الى تاقيت المؤرخ هذه الفاجعة التي شهدها بالعيان

ففي الرسالة الاولى ذكر موت عمهِ بلينيوس الكبير المعروف بالطبيعي وكان اميرًا على الاسطول الرومانيّ. ألا انهُ في ساعة الحادث المشؤوم كان في مدينة ميسان (Misène) عند اهلهِ فما شعر بانفجار البركان حتى اقلع منها لرغبتهِ في مشاهدة هذه الظواهر العجيبة الى محلّ الفاجعة فخنقهُ رماد البركان عند بلدة ستابيا (Stabia)

ووصف بلينيوس الصغير في رسالتهِ الثانية تفاصيل هذا المصاب الجلل وهربهُ مع امّهِ لينجوا بنفسها قـال: «وكان البحر يتلاطمُ بالامواج كأنهُ ينقلب ظهرًا لبطنٍ... وانتشر في الجوّ عارض من السحاب المكفهر تنبعث من خلالهِ اقواس ناريّة غاية في الغرابة كأنَّ صاحبهُ تمكّن من تحليل مضمون القنبلتين وكأنَّ الاثير الكهربي يسيل ويجمد من تلقاء ذاتهِ دون ان يمسَّهُ احد

١) المرجح ان ذلك حدث في اواخر تشرين الثاني. وفي رواية الكاتب بلينيوس بعض التباس.

اشبه بالبروق . . . فلماً ابتعدنا شعرنا بالرماد يهبط فوقنا . . . ثمَّ التفتُّ لأرى ما الامر واذا بدخان يتهدَّدنا من ورائنا كأنهُ سيل جحاف فقلتُ لوالدتي : « هلمّي بنا نخرج من الطريق المسلوكة » . فما حدنا عنها قليلاً حتى رأينا نفسنا في ليل دامس كأننا في حجرة لا نافذة لها . وما كنَّا نسمع في طريقنا الاَّ عويل النساء وصراخ الاطفال وجلبة الرجال . . . »

ودامت هذه الحال السيئة مع انفجار الحمم المصهورة مدَّة ثلاثة أيام هلك فيها اكثر من الفي نسمة . ولمَّا صفا الجوّ وجدوا الرماد على شكل سطح سويّ حول البركان وكانت ذرّاتهُ بلغت الى بلاد بعيدة حتى مصر والشام . امَّا المدن الساحلية المجاورة لهُ فكانت مسجَّاة بكفن اغبر من الرماد لا يُسمع لاهلها ركزٌ بعد هنائهم وتنعُّمهم بالملذَّات

ثم تباعد الاحياء من هذه الاماكنة المشؤومة لخوفهم من انفجار جديد يحدث فيلحقهم بالموتى . وبقي الرماد زمنًا طويلاً دون ان يجسر احدٌ على الحفر والبحث حتى باد ذكر هذه المدن العامرة وصارت نسيًا منسيًا

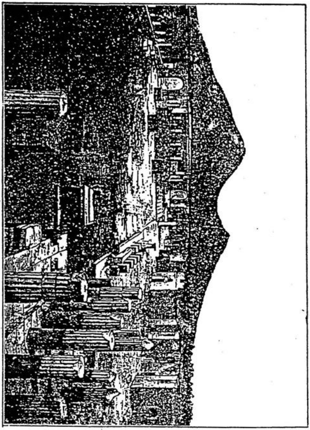
ولمَّا كانت اواخر القرن الماضي وقف بعض الاهلين صدفةً على آثار قديمة فاخذوا يحفرون حفرًا غير منتظم الى ان تولّى منذ بضع سنين الفارس فيورلّي (Fiorelli) إدارة الحفر فباشر الامر على طريقة هندسيَّة فاخرج مُعظم مدينة بمباي من قبرها واعادها الى الوجود

واوَّل ما يشعر بهِ الداخل اذا ما تجاوز حمى المدينة الذي تبلغ دائرتهُ ستَّة كيلومترات شواعر الذعر والهلع . فكنَّا نسير في شوارع هذه البلدة حائرين وعلى جانبينا بيوتها القديمة لا صافر فيها ولا نافخ نار وهي مع ذلك سالمةٌ لولا انَّ سقوفها قد هبطت لتراكم الرماد فوقها . امَّا باطن هذه المساكن فهو على حالتهِ كما كان يوم نعب فوقها غراب الموت . فترى النقوش العجيبة واثاث البيت لا ينقص الدار سوى ساكنها

ولو اردنا وصف كلّ اخربة بمباي لما كفانا مجلَّد ضخم لكثرة آثارها فدونك بالاجمال ما لحظناهُ مدَّة زيارتنا

١ (شوارعها وساحاتها) شوارع بمباي قويمة متساوية لكنَّها ضيّقة مبلَّطة بحجارة بركانيَّة . ولكل زقاق رصيفان على جانبيهِ للسابلة وفي وسطهما ممرٌّ تسيل فيهِ

المياه. ومن مسافة الى أخرى دكك ليعبر المشاة من جانب الى آخر دون ان تبتلّ ارجلهم بالمياه. وقد بقي في بعض الشوارع اثر دواليب العربات في بلاط الارض



ساحة بمباي الكبرى

ولبمباي ساحتان عظيمتان الاولى الساحة الكبرى او الفورم (forum) تكسيرها ١٥٠ مترًا طولًا في ٣٠ عرضًا وفيها كان يجتمع القوم لكلّ امورهم العموميَّة ولإقامة فروضهم الدينيَّة. وكان على اطرافهِ الاربعة صفّان من العَمَد على شكل رواقٍ تحيط بهِ الابنية الفخيمة فترى في صدر الربع هيكل المشتري او الكابيتوليوم وعلى الطرفين

يمينًا وشمالًا هيكلي ابلُّون وعُطارد ثمَّ مقامًا لاشغال التجَّار ومصارفهم وُجدت فيها موائد الصرَّافين مع قطع من الفضَّة والشَّبَه (البرونز). وفي وسط الساحة قواعد كان فوقها تماثيل علماء او فرسان ثمَّ منابر للخطابة وكان ايضًا على جانبي هيكل المشتري قوسان انتصاريَّان اجلالًا لنيرون وكليغولا الامبراطورين الرومانيين

امَّا الساحة الثانية فموقعها بقرب المرسح لها مدخلٌ جميل باعمدة عديدة من الطرز الأيوني. وشكلها مثلَّث وهي متَّسعة الباحة

٢ (هياكلها) لبمباي ثمانية هياكل اشرفها هيكل المشتري السابق ذكرهُ يُصعد اليهِ بالدرج الفخيم من جانبيهِ وفي اعلى الدرج رواقٌ عظيم لهُ اربعة صفوف من الاعمدة ولكلّ صفٍ ستَّة سوارٍ من الطرز القورنثيّ. وللهيكل بابٌ كبيرٌ اذا اجتازهُ الداخل وجد ردهةً واسعة تزيّنها اعمدةٌ من الطرز الايوني في صحنها مذبح كان فوقهُ تماثيل للمشتري ولكيريس (Cérès) والزهرة شفيعة البلدة

واذا اعتبرتَ الهياكل الأُخرى وجدت هندستها على صورة هيكل المشتري لا تختلف عنهُ ألّا قليلًا. وممَّا يمتاز بهِ هيكل ابلُّون المجاور لساحة الفوروم انَّ قسمًا منهُ يرتقي الى عهد السمنيّين والقسم الآخر بناهُ الرومان وقد مُزجت فيهِ الطروز الهندسيَّة الثلاثة اي الدوريّ والايونيّ والقورنثيّ ولهُ سور يحيط بهِ طولهُ خمسون مترًا وهو مزيَّن بتماثيل آلهة الرومان كالزهرة وديانا وابلُّون الرامي وغيرهم. ومن غرائب هذا الهيكل مِزْوَلة (ساعة شمسيَّة) نُقشت خطوطها فوق صفيحة جُعلت على عمود صغير ولها تاريخ رُقم على احد جوانبها يؤخذ منهُ ان المزولة أُقيمت بامر القاندين لوقيوس لابوريوس ومرقوس إِرتيوس

وفي هيكل عطارد المبنيّ ايضًا على ساحة الفوروم مذبحٌ باقٍ على هيئتهِ القديمة قد نُقشت على جوانبهِ الاربعة نقوش عجيبة تمثّل هيئة التكهين وتقدمة الذبائح عند الرومان فترى الكاهن الذي يصبُّ الخمر وبجانبهِ الثور المقدَّم للذبيحة وآلات التقريب الى غير ذلك من المناسك الدينيَّة

ومن مميّزات هيكل السَّعد كثرة نقوشهِ وتصاويرهِ البديعة

وكان لإلهة المصريين إيزيس هيكل في بمباي تختلف هندستهُ عن بقيَّة الهياكل وقد وُجد فيهِ مذبح فوقهُ عظام الذبيحة مع رماد المحرقة

واقدم هياكل پمپاي هو هيكل هرقول بُني في القرن السادس قبل المسيح وموقعهُ في الساحة المثلّثة السابق ذكرها

٣ (معاهدها العموميَّة) موقع اكثرها قرب ساحة الفورم. منها * البلاط الملكيّ) او مجلس الحكومة وهو عبارة عن بناية مربَّعة مستطيلة وفي داخلها عمدٌ وهي واسعة جميلة المنظر لوجهتها مدخل اثير ذو خمسة ابواب. وكان يُدخل الى هذا المجلس من جهة الفورم وفي مقدَّمتهِ رواقٌ حسن. ولا يزال مقام الحاكم منتصبًا في صدر هذا المعهد

وبازاء المحكمة بهوٌ جميل يُدخل منهُ الى بلاط الكاهنة أوماخيا. وهناك احواضٌ عديدة مع تمثال الكاهنة المذكورة. والمظنون انَّ القصَّارين كانوا يقصرون ثياب الرومانيين في هذا المكان وانَّهم اقاموا تمثال اوماخيا شكرًا لها على رواج امورهم

ومنها السوق العمومية في شمالي الفورم وهي بناية مستقَّفة ذات اثني عشر عمودًا كان الباعة يجلسون تحتها لبيع سلعهم وفي وسط هذه السوق حوضٌ

وكان لپمپاي ايضًا مجلسٌ بلديٌ موقعهُ بازاء هيكل المشتري وكذلك معهد فسيح لانتخاب المأمورين

وكلُّ هذه الابنية كانت محدقة بالساحة الكبرى. امَّا المباني العموميَّة التي وُجدت بعيدًا عنها فمرسحان كبيران وملعبٌ على شكل نصف دائرة كانت تجري فيهِ ألعاب مستقبحة كمقاتلة الوحوش الضارية والمسايفة والملاكمة. وكان للرومان قومٌ يتعاطون هذه الحرف وقد وُجدت في پمپاي ثكنتهم مع الاسلحة التي كانوا يتحاربون بها

ومنها ايضًا حمَّامات عديدة انيقة البناء اكتُشفت في پمپاي تنطق بلسان حالها عن عيشة الرومان المترفهة فانَّهم كانوا يقضون الساعات الطوال في الاستحمام ولحمَّاماتهم نظام خصوصي كما يظهر في حمَّام ستابيا (Stabia) الذي زرناهُ. فلمَّا تجاوزنا بابهُ الخارجي وجدنا ساحةً كبيرةً مزيَّنة بالعواميد كانوا يدعونها بالَسْترا اي الميدان يروّضون فيهِ أجسامهم او يلعبون بالكريّ ولا يزال منها كُرتان حجريَّتان. وعلى احد اطراف هذا الميدان بركة كبيرة للسباحة مع لواحقها. وكان يجوز للعامَّة ان يدخلوا هذا الميدان لترويح النفس والفرجة فترى المقاعد التي كانوا يجلسون عليها

ومن هذه الساحة كان يدخل المستحمُّون داخل الحمَّام وفيهِ موضعٌ خاصٌ لنزع

الثياب ثمَّ حجر مختلفة للاستحمام تدريجيًا فكانوا اولًا يغتسلون بالماء البارد ثم يجتازون الى محلٍ ثانٍ فيه الماء الفاتر حتى ينتهوا اخيرًا الى الماء الحارّ. وفي كلّ هذه الامكنة مُغتسلات منقورة في الحجر تجري اليها المياه بالأنابيب. وكانت المواقد والمراجل توضع فوق المغتسلات فيجري منها الهواء الحارّ وراء الجدران وتحت البلاط فيسخن الحمّام على قدر مقصود المستحمّين. وكلُّ هذه الحجر محفوظة الى اليوم لأنها كانت مقبّبة متينة البنيان وباطنها مزيّن بتصاوير نافتة وبنقوش جميلة تمثّل الحيوانات والزهور وآلهة الرومان الخ

٤ (بيوت خاصّتها) من يدخل بيوت الخاصّة في بمباي يرَ احوال الرومان في عيشتهم الاهلية رأيَ العيان. لا يفوتهُ شيء من هندسة كلّ دار وتقسيم حُجَرها وتنظيم اثاثها وزينتها. فانَّ كثيرًا منها مرصّع بالفسيفساء. والنقوش والكتابات اللاتينيّة فمن ذلك أنك ترى امام باب احد هذه البيوت صورة كلب مربوط وتحتهُ هذه الكتابة «إحذر الكلب». وفي غيرها تصاوير عجيبة الاشكال دقيقة العمل نضرة الالوان لا يظنُّ من يراها أنهُ قد مرَّ عليها نيّف و ١٩ جيلًا. وفي اغلب هذه الدور حدائق بهيّة المنظر فيها الاحواض والتماثيل لا ينقصها الّا الزهور والمياه

امّا متاع هذه البيوت فانهُ يجاري افخر ما يصنعهُ الصَّنَعَة في ايّامنا كالاقداح والصحون والاطباق الفضيّة المنقوشة وحليّ النساء ومصاغاتهنّ وسجلّات الكتابة والمصابيح الذهبيّة والصناديق المملوءة من الحجارة الكريمة. امّا الخزائن والاخشاب فقد تكلّست بما اصابها من المواد البركانيّة فبقيت صورها العجيبة في الرّماد المتجمّد حتى أمكن الحصول على اشكالها بصُنع قوالب تمثلها كما كانت

وعلى هذه الطريقة ايضًا تمكّن المسيو فيورلي من حفظ جثث موتى بمباي بصبّ قوالب من الجصّ في الرماد المتلبّد. فترى هيئات هؤلاء المساكين كما كانوا في ساعة النزاع تلوح على وجوههم إمارات الفزع ودلائل الوجع وعلامات اليأس والقنوط. فمنهم من يطلب الفرار وهو حامل كنوزهُ الثمينة. ومنهم من يتّقي باليدين حجارة سقفه المتداعي. هنا فتاة لاطية في زاوية الدار. وهناك والدتها منطرحة على الحضيض كأنّها تطلب لها مفرًّا في اعماق الارض. هذا يكشر عن انيابهِ وذاك فاتحٌ فاهُ يصرخ بالويلات. وقد لحظنا في جملة جثث الموتى كلبًا يحاول قطع الطوق الذي يربط عنقهُ بعتبة الباب

فيتضوَّع . الّا فيحن الزائر لوجعهِ كما أنهُ يذوق مع كلّ هؤلاء المنكودي الحظ اهوال الموت

واجمل دار تراها في پمپاي لم يكد يتغيَّر فيها شيء من حالتها القديمة دار اخوين من عائلة رومانيَّة شريفة تعرف باسم ڤتيوس (Vettius) . وانَّما جُدّد سقفها الذي هبط منها وزُرعت جنينتها القديمة وجُعلت فيها النباتات والزهور التي رُسمت صورتها في رواق البيت . فيخال الناظر انَّها عامرة بالسكَّان يقطنها الى اليوم احد ذوي الثروة

ولهذه الدار دهليز مع حجرة للبواب . ثمَّ باحة الدار في وسطها مُستمطر (impluvium) وعلى يمين الداخل فسحة اخرى مع مُستمطر ثانٍ يُدخل منها الى المطبخ وادوات المطبخ الى اليوم في مكانها ويلحق بالمطبخ غُرف أُخر لخدمة الدار

وبجوار مدخل الدار محلٌ كان القدماء يدعونهُ لاراريوم (lararium) يكرمون فيهِ آلهة البيوت المعروفين باللار او الپينات (Pénates) . فتراهُ في الدار التي نحن في صددها غاية في الجمال . وقد بُني حول باحة الدار حُجَر عديدة منها للاكل ومنها للنوم وكلّها منقوشة بنقوش رائعة . واذ تجاوزت ساحة الدار بلغت رواقاً مربعاً مستطيل الشكل كثير النقوش في وسطهِ جنينة على شكلهِ تزهو فيها الزهور وتزينها الفوَّارات والواح الرخام والدُّمى

ومن الرواق المذكور يدخل الداخل الى عدَّة حجر والى ردهة الاستقبال الكبرى فيها من التصاوير ما يفتن العقل بحسنهِ . وهي تمثّل اطوار الحياة الرومانيَّة وضروب الحرف والصنائع كالطبّ والخطابة والحدادة الخ . على انَّ كثيراً من هذه التصاوير يغلب عليها المجون والخلاعة تنبئ بانحطاط الآداب بين اهلها وقد وبَّخ احد شعراء اللاتين معاصريهِ على رسم مثل هذه الصور في بيوتهم امام نسائهم واولادهم

٥ (الحوانيت) موقعها على جانب الشوارع لكنَّها في الغالب ضيقة اللهمَّ الَّا الخابز فانَّها واسعة بقربها الرحيّ للطحن مع الافران لخبز العجين . ومن الحرف التي وجدت آثارها في پمپاي الصيدليَّات والمطاعم وحوانيت لباعة الزيت والخمارين ومن يدخل هذه الحوانيت يجد حتى الان آنية الباعة ودنان الخمارين . وفي ساعة حلول المصاب كان بعض الجند يعاقرون الخمرة في الحان فرموا بنوافيرهم وفرُّوا هاربين . وكان كثيرون من هؤلاء الباعة مشقوا امام حوانيتهم بالفسيفساء خطّاً سلام على اله الربح بلغتهم العاميَّة « salve lucru »

وممّا يستحقّ الذكر ايضًا في بمباي مقابرها وما تحتويه من المدافن الانيقة المزيَّنة باصناف الزين غير أنّنا قد اطلنا الكلام ولا يسعنا ذكر كل هذه الآثار العجيبة. لاسيّما ان المدينة كلّها اضحت مقبرةً لا يجد فيها الزائر الّا ذكر الموتى فيعمل في قلبهِ هذا المنظر عملًا لا تمحيهِ السنون الطوال

ولمّا انتهينا من زيارتنا سرنا الى غربيّ المدينة فدخلنا كنيسة كبيرة شادها رجال اتقياء من اهل نابولي ذكرًا للبتول وجعلوها كحرز لبلدتهم ودعوها «سيدة بمباي». وقد اضحت اليوم مزارًا يحجّ اليهِ الناس من ايطاليا وفرنسة وبلاد أُخرى نازحة. وما جعل هذا المكان مقصدًا للزُوّار انّ البتول الطاهرة قد اظهرت فيهِ قوّاتٍ ومعجزات لا تُحصى. فشاء الله ان تملك في هذه المدينة العذراء البريئة من الدنس بدلًا من الزهرة إلهة العهارة والفجور ونحن نلتمس من مراحم هذه البتول ان تحرس سكّان تلك الاصقاع من حُمم الوسوف ولهيبهِ وتنجينا وايّاهم بشفاعتها عليها السلام من نيران الجحيم وابالسته

ناوفيطوس مطران صيدنايا

نبذة بقلم الارشيمندريت الكيوس كاتب

قد اشتهر السيد ناوفيطوس مطران صيدنايا في اوائل الجيل الثامن عشر وكان من الروم الملكيين ينتمي الى الرهبانية الباسيلية من مجمع دير القدّيس يوحنا الصابغ الذي قرب الشوير في لبنان وهذا الاسقف كان في جملة الرعاة الذين ساموا في دمشق الطيّب الذكر كيرلس طاناس الشهير بطريركًا انطاكيًا[1] في ٢٥ ايلول سنة ١٧٢٤ وهو الذي انشأ دير النبي الياس حذاء رشميا «لبنان» وكان من الدين والآداب بمكانٍ عظيم واسع الفهم كثير المعارف

١) قرأنا في كتاب التواريخ المليّة في شرح احوال البطريركيّة الانطاكيّة للقس يوحنا العجيمي (نسخة مكتبتنا الشرقية ص ٣٢٥) ما حرفهُ: «ولمّا مات البطريرك اثناسيوس انتخب الدمشقيّون ساروفيم طاناس (وهو كيرلّس السادس) باسم والي دمشق عثمان باشا ابي طوق الذي كان محبًّا لخالهِ وآثروهُ عليهم بطريركًا. ورسمهُ ناوفيطوس مطران صيدنايا الذي تنيّح في رومة بعرف القداسة. والمطران باسيليوس بن فينان اسقف بانياس الذي تنيّح في دير المخلص بعرف القداسة. وافثيميوس مطران الفرزل. وذلك في مدينة دمشق في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ م» (المشرق)

ولما ان ضاقت بهِ الوسائط على الاقامة في ابرشيتهِ لكثرة ما ضايقهُ فيها من لا يدينون بتعاليمهِ الكاثوليكية وغيرهم . الجأتهُ الحال الى ان فرَّ الى ديار بكر وهناك بشر بالتعليم الكاثوليكي وانقطع الى المواعظ وارشد كثيرين الى الآداب والصلاح . لكنَّ اقامتهُ فيها لم تطل لضعفٍ طرأَ على جسمهِ فعاد الى دير القديس يوحنا الشوير في مركز الرئاسة العامة . ومنهُ استعفى عن ادارة الابرشية التي كان يرعاها فعُفي

واذ انحل من ارتباطهِ بالابرشية المذكورة سافر الى رومة العظمى يصحبهُ الاب . . . قندلفت احد ابناء الرهبانية الباسيلية المذكورة . فلما ان بلغها وفد على الحبر الاعظم البابا باديكتوس الثالث عشر فقبلهُ وقبّلهُ ببشاشة لما كان بلغهُ عن غيرتهِ الرسولية وتقواهُ . ثمَّ عيَّن لهُ مكانًا يسكنهُ مع كاهنهِ واجرى لهُ راتبًا سنويًا

واذ كان هذا الاسقف مارًا يومًا في احد الشوارع الضيقة واذا بعربة قد جمحت خيلها فصدمت الاسقف صدمةً القتهُ على الارض لا حراك بهِ . فاسرع الناس فنقلوهُ الى دير القديس اسطفانوس اول الشهداء وكان يسكنهُ وتتنذ رهبان من طائفة القبط الكاثوليك وهو مشيَّد وراء كنيسة القديس بطرس على بعد بعض خطوات

فاذ بلغ خبر هذا الحادث سمع الحبر الروماني البابا اكليمنضوس الثاني عشر الذي خلف في ١٢ تموز سنة ١٧٣٠ البابا باديكتوس الثالث عشر قام الى دير اول الشهداء اسطفانوس لعيادة الاسقف المذكور وزارهُ ايضًا كثيرون من نخبة الاكليريكيين ونفرٌ من الكرادلة وغيرهم

ولما ان اشتدت عليهِ وطأة المرض نُقل الى مستشفى « الروح القدس » حيث ما لبث الَّا قليلًا حتى فاض بروحهِ الطاهرة في ٢٤ شباط سنة ١٧٣١ وبعد ان مضى على موتهِ ساعات طوال لحظ الجمهور ان هيئة وجههِ لم يغيرها الموت وان جبهتهُ ما زال يكللها العرق فبأمر خاص أُبقي على فراشهِ ثمان واربعين ساعة أُخرى ثمَّ عمدَ اطباء الحبر الاعظم على فصدهِ في يدهِ فخرج منها للوقت دمٌ بلون دم الاحياء من البشر

ومن الامور المستغربة ايضًا ان جسمهُ لم يفسد ولم تنبعث منه رائحة كريهة كما انهُ لم ييبس كعادة اجساد الاموات . وكانت تلوح على محياه علامة الفرح والهشاشة . ومما يُخبر ان عدَّة مرضى برئوا بدنوّهم منهُ ولمسهم جسمهُ وان انسانًا بهِ عاهة مزمنة شفي بغتةً مذ نقل اثرًا منهُ

وقد اقيم لهُ مأتم حافل بحضور الكردينال بيترا وغيرهِ كثيرين ودُفن في كنيسة مدرسة مجمع انتشار الايمان المقدس تحت المائدة الكبرى

وفي جملة من شهد بصحة ما تقدّم وشاهدهُ عياناً من الشرقيين نخصّ الطيب الذكر اندراوس اسكندر الماروني الذي كان مترجم الكتابات الشرقية لدى الكرسي الرسولي وكذلك المؤرخ الماروني الشهير المونسنيور يوسف السمعاني رئيس مكتبة الفاتيكان. فانَّ هذا في فاتحة كتاب الفرائض المثبتة من الحبر الاعظم بناديكتوس الرابع عشر والمطبوعة في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٧٥٨ باجازة الرؤساء يقول مخاطباً الرهبان القانونيين الباسيليين من مجمع دير القديس يوحنا الصابغ:

« وانتم بقيتم وحدكم مثل الخراف بين الذئاب ومثل الورد بين الشوك.... فمدَّت هذه الكرمة المباركة (يريد هذه الرهبانية) ليس قضبانها... فقط... بل وايضاً في فضائل (?) الرؤساء والمرؤوسين وخاصةً بوجود رؤساء الكهنة الخمسة الذين ارتقوا من هذه الرهبانية الى درجة المطرنية وهم: (١) المطران مكسيموس رئيس اساقفة حلب حالًا الشهير باحتمال الشدائد من اجل الايمان الارثوذوكسي. (٢) والمطران اثناسيوس. (٣) والمطران باسيليوس المؤتمنَين على رعاية الخراف الناطقة بكرسي بيروت وبعلبك اللذان اكلا بالعمل ما قيل للرعاة على فم هامة الرسل (١ بطرس ٥: ٢): ارعوا رعية الله التي فيكم متعاهدين بها لا عن اضطرار.. (٤) والمطران جراسيموس مطران حلب سابقاً. الذي امتُحن ايمانهُ افضل ثمناً جداً من الذهب المجرَّب بالنار (١ بطرس ١: ٧) اذ كابد النفي من اجل الرب واقتبل تمام ايمانهِ خلاص النفس. (٥) والمطران ناوفيطوس مطران صيدنايا الذي توفي في مدينة رومة العظمى حيث صار مشهداً للعالم والملائكة والناس بالآيات التي ظهرت منهُ بعد انتقالهِ ». انتهى قول السمعاني

ونحن في تنقيبنا واستطلاعنا اخبار حياة هذا السيد الطيب الذكر عثرنا في مكتبة مدرسة مجمع انتشار الايمان في رومة العظمى على الفقرة الآتية: وها هي بحسب حرفها اللاتيني:

Dal libro dei morti della Chiesa di Propag. Fede (p. 98.)
Die 24 Februarii 1731

Neophitus Nasri, hierapolitanus archiepiscopus de Saïdanaïa apud

Damascum melchita cath. ætatis suæ ann. 60 circiter sacramentaliter confessus R. P. Georgio Beniamino S. J., sacra communione refectus et sacra unctione roboratus in communione Sanctæ Romanæ Ecclesiæ Matris animam Deo reddidit, hora 19 in Archixenodochio Sancti Spiritus, ejus corpus translatum fuit die sequenti in ecclesia de Prop. Fide, in qua sepulturam sibi elegit, ubi associatum fuit a duobus parochis, videlicet sancti Petri in Vaticano in cujus dictione habitabat et Sancti Spiritus in Lassia usque ad januam hujus venerabilis collegii, hora prima noctis et die sequenti fuit expositum in hac ecclesia et quia ejus cadaver *mirabiliter* desudavit per spatium trium dierum et nullus fetor emanavit, existimatum fuit a medicis esse præternaturale, tumulatum fuit in sepultura majori hora 1 noctis cum dimidio præsentibus R.R.D.D. Joseph Asemani, Scandar Andrea, Petro Narsilo et R° Francisco Georgio Tramontano piorum operum rectore.

(المشرق) وهاك تعريب هذه القطعة ليقف قرّاؤنا على فحواها:

« من سجلّ موتى كنيسة مدرسة انتشار الايمان ص ٩٨ ». في ٢٤ شباط من سنة ١٧٣١ الساعة ١٩ (السابعة بعد الظهر) اسلم السيد ناوفيطوس نصري الحلبي (١ روحهُ للرب. وكان المذكور من طائفة الروم الملكيين ومطرانًا على صيدنايا المجاورة لدمشق توفي في وحدة الايمان مع امّنا الكنيسة الرومانيّة المقدّسة في الرباط المنسوب الى الروح القدس ولهُ من العمر نحو ستين سنة بعد ان استمع اعترافهُ حضرة الاب جرجس بنيامين اليسوعي (الماروني) وتزوَّد بسرّي القربان الاقدس والمسحة الاخيرة. ثمَّ نُقل جسدهُ في اليوم التالي الى كنيسة مدرسة انتشار الايمان التي اختارها لقبرهِ وقد شيَّع جنازتهُ في الساعة الاولى من الليل كاهنان راعيان هما قيّم كنيسة مار بطرس في الواتيكان لأن المرحوم كان في حيز رعيّتهِ وقيم كنيسة الروح القدس في حارة لاسيا رافقهُ كلاهما الى مدخل هذه المدرسة الشريفة. وفي غد ذلك اليوم عُرض جسمهُ المكرّم في هذه الكنيسة ولمَّا كان عرق عجيب يتقطَّر من جسدهِ مدَّة ثلاثة ايَّام دون ان ينبعث منهُ رائحة كريهة قضى الاطباء بانَّ ذلك من الحوادث غير الطبيعيّة. ثمَّ قبر في المقبرة الكبرى بعد مضي ساعة ونصف من الليل وقد حضر هذه الحفلة السادة الاجلَّاء يوسف السمعاني واندراوس اسكندر وفرنسيس جرجس وبطرس ترسيليوس وفرنسيس جرجس الترامنتاني متولّي ادارة الاعمال الخيريّة

١) انَّ اللفظة اللاتينية hierapolitanus نسبة الى Hierapolis وهي مدينة من مدن سوريّة ظنّها البعض حلب والكاتب اللاتينيّ حملها على هذا الظنّ. امَّا كون ناوفيطس حلبيًا فلا يشك فيهِ وقد قرأنا في التواريخ المليّة للقس يوحنا العجيمي (ص ٣٧٨) ما حرفهُ: « وقد ارتسم على ابرشيّة صيدنايا في جيلنا هذا المطران كليمنضس من تلاميذ السعيد الذكر افتيميوس مطران صور وصيدا

ونحن نرغب اشدّ الرغبة ان تتثبت رسمياً من السدة الرسولية المقدسة برارة هذا الصالح الذكر. وفي هذا السبيل صادفنا تنشيطاً لدى من فاتحناهم برغبتنا هذه واستطلعنا رايهم ثم رفعنا لدى نيافة رئيس المجمع المقدس عرضاً نلتمس بهِ الفحص عن وجود جسم الصالح الذكر المطران ثاوفيطوس وتحقيق ما جرى على يدهِ من الامور غير العادية ومن الخوارق غير الطبيعية

فنضرع الى ذوي الغيرة والشعائر الوطنية والحميَّة المسيحيَّة من اية طائفة ومن اية بلدةٍ كانوا ان يوافونا بما عندهم من المعلوميات عن الصالح السيد ثاوفيطوس المذكور

ونوجه رجاء خاصاً للحلبيين ابناء وطنهِ وللابرشية التي رعاها والامكنة التي مرَّ بها ان يبحثوا في ما عندهم من التقليدات عنهُ وفي كتبهم الخطية التي يكثر وجودها عند بعض العيال لعلهم يعثرون على اثرٍ ام حادث ذي مكانة يوقفنا على ما نحن طالبون الان وما غايتنا مما تقدَّم الَّا تكرمة عبيد الله وتكرمة البلاد الشرقيَّة التي فيها ولد وربي ثاوفيطوس الصالح. ومن جاد علينا بشيء ام اراد مكاتبتنا في هذا الموضوع فليحرر لنا الى محل نيابتنا العامة في رومة العظمى (5. Piazza della navicella : Roma)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

كنائس الموارنة القديمة في لبنان (لاحق بما سبق)

ومَّا قد اذهلنا في قرى عديدة من لبنان انَّا وجدنا في جانب كنائسها كنيسةً أُخرى لاصقة بها او قريبة منها بحيث تُضحي الكنيستان كبناية واحدة. مثال ذلك كنيسة مار يوحنَّا وكنيسة مار تادروس في اذّه (جبيل). ومثلهما كنيستا شامات وتولا الخ

ومن قبلهِ كان اسقفاً على هذه الابرشية ثاوافيطس السعيد الذكر «الحلبي الاصل» الذي توفيَّ في روبة برائحة القداسة فقولهُ «حلبي الاصل» لا يبقي في الامر مراء (المشرق)

ولكثير من كنائس لبنان في داخلها صهاريج (١ ونوافذ ضيقة مستطيلة في جدرانها بقرب مدخلها كما في تولا وادّه (البترون). وترى في صفار في دار الخواجا انطون جرجس التي كانت كنيسة قديمة صهريجًا في داخلها ومرامي في جدرانها ويستدلُّ بهذه الآثار الهندسية على انَّ الاهلين كانوا في سالف الاعصار يتحصَّنون في الكنائس فتصير لهم الكنيسة شبه قلعةٍ لكثافة جدرانها ومتانة بنيانها فيشربون من مائها ويرمون القذائف من نوافذها

وفي هذه الكنائس أثر آخر يرتقي الى القرون المتوسطة وهو أنهم كانوا يجعلون في جدرانها قطعًا من العواميد ظنًّا منهم ان البنيان يزيد بها شدَّةً. وترى مثل هذه العادة جارية عند العرب في ابنيتهم القديمة لنا شواهد على ذلك في بعض انحاء قلعة جبيل. وتغلَّبت عليهم هذه العادة حتى انَّهم كانوا اذا لم يجدوا عمودًا يدخلونهُ في بنائهم ينحتون دائرةً ناتئة في حجرٍ كبيرٍ يمثلون بذلك صورة رأس عمود. كما ترى في قلعة حلب وفي الباب الشرقي في دمشق الخ (٢. وقد جرى مهندسو الكنائس المارونيَّة على هذه العادة فان لكنيسة مار ضومط في تولا ولمار جرجس في عبدلّه ولكنيسة السيدة في سمر جبيل ولكنيسة رشكيدا مثل هذه العواميد المتداخلة في بنيانها

*

ليست قبَّة الجرس في الكنائس الشرقيَّة كما تُرى في الغرب. فانَّ الغربيين جعلوا هذه القبَّة كقسم معتبر من ابنيتهم الدينيَّة فتراها مُدمجة بالبنيان متَّصلةً بها اتصالًا غير منفصم بخلاف الشرقيين فانَّ قبَّة الجرس عندهم من العوارض ليس بينها وبين كنائسهم رباط هندسيّ ولو خلت هذه الكنائس منها لبقيت هندستها الاصلية بحسنها وهندامها. والبيع المارونية القديمة لا تشذُّ عن هذه القاعدة العموميَّة. فانَّ من يحدّق بنظرهِ اليها يرَ لوقتهِ انَّ قبَّة الجرس من ألملحقات التي زيدت على هذه الكنائس بعد بنائها.

١) وفي اماكن عديدة نرى الصهاريج خارج الكنيسة عند الدهليز مثلًا. ويُحتمل انَّها تكون حُفرت ليُغتَسل بمائها قبل مباشرة الاسرار. قال الدويهي في منارة الاقداس (ص ٥٧): «مذ انتشرت النصرانيَّة اخذ ابناء الايمان يبنون الكنائس ويجرون امامها منابع الماء او يحفرون الآبار ليستحمَّ بها الداخلون . . . فقد رُسم على الكهنة في بدء الناقور وآخرهِ ان يغسلوا أناملهم طلبًا للطهارة وتوقيرًا للاسرار» ٢) راجع بعثة فينيقية لرينان ص ١٥٩ و٥٤٧ الَّا ان هذا الكاتب قد اساء بنسبتهِ ذلك الى الصليبيين

وادراك علّة ذلك سهلٌ وهو انَّ الاجراس المدنيَّة حديثة العهد بين الموارنة لم يألفوا قرعها الّا بعد مجيء الفرنج الى بلاد الشام (١. قال العلامة الدويهي في تاريخ طائفته (ص ١٠٣). «وفي سنة ١١١٢ اخذ الموارنة في الجبل يدقّون النواقيس من النحاس بدل الخشب للصلاة »

ومن خواصّ لبنان كثرة كهوفهِ واغوارهِ التي تُرى في اكنافهِ. وقد اتّخذ اهل لبنان الاوّلون هذه المغاور كساكن لهم احتلّوها فعاشوا فيها في قديم الزمن (٢ ثمّ ابتنى اللبنانيون لهم القرى وشادوا البيوت فبقيت هذه الكهوف خاليةً خاوية حتى انتشرت في هذه البلاد انوار النصرانيَّة فلجأ اليها قوم من النسّاك انقطعوا فيها الى العبادة والتألُّه وعاشوا ثمَّ عيشةً اشبه بعيشة الملائكة وجعلوا بتمادي الايّام غيرانهم كنائس كان يقضي فيها السكّان المجاورون لهم فرائضهم الدينيَّة. فمن ذلك الكهوف الواقعة في وادي قزحيا وفي سيدة القطّين التي تعرف اليوم باسم سيدة البزاز. وهي لا تبعد عن قرية صغار في وادٍ مُقفر فانَّ هناك ديرًا صغيرًا ذا طبقات متعدّدة ملتصقة كلّها في الجبل وللدير سورٌ حصين فيهِ منافذ ضيقة كان النسّاك القدماء يرصدون منها حركات العدوّ فيطردونهُ اذا ما فاجأهم. ولمعبد هذا الدير حنيّتان عاديّتان. وكان العبّاد اذا جعلوا سكناهم في هذه الاغوار يتّخذون اكبرها لمناسكهم فيجعلونها بيعًا كسيدة قنّوبين وسيدة القطّين وقزحيا الخ

وممّا يلحق بهذه الكنائس معبد كفر شليان المنقور في الصخر وقد مرَّ ذكرهُ. ومثلهُ معبد مار سركيس للآباء الكرمليين في بشرّاي. وكذا كنيسة مار بطرس في العاقورة فانها كلّها منحوتة في الصخر (٣ ولعلّها كانت مدفنًا للموتى في الأيّام الغابرة (٤

*

وقد حان لنا الآن بعد ما ذكرناهُ اجمالًا عن كنائس لبنان القديمة من حيث هندستها العموميَّة وهيئتها الخارجة ان نبحث عن داخلها فنقف على صورتهِ واحوالهِ.

---

١) راجع المشرق (١: ٥٨٠)
٢) راجع مقالة الاب زُموفن في الطور الحجريّ في فينيقية (المشرق ١: ٩٧٠)
٣) راجع الدويهي (ص ٢١٩)
٤) راجع بنّة فينيقية (ص ٣٠١)

ولنا في كتاب منارة الاقداس للحبر الفضال والكاتب البارع البطريرك اسطفان الدويهي دليل يرشدنا الى المقصود قال (راجع المنارة ١ : ١٠٣) : « قسم الآباء القديسون الهياكل الكبيرة الى ثلاثة اقسام اي قدس الاقداس وبيت القدس والدار وفقًا لعدد الاقانيم الثلاثة كما يتبيّن ذلك من كنائسنا القديمة مثل كنيسة القديس ماما في اهدن التي بُنيت في سنة ٧٤٩ وكنيسة القديس سابا في بشرّاي سنة ١١١٢ وكنيسة القديس دوميط في تولا من بلاد البترون وكنيسة القديس شربيل في قرية معاد من بلاد جبيل وغيرها » . فلهذه الافادات شأن خطير لاسيَّا انَّ المؤلف ذكر تاريخ بعض هذه المعابد . ويا حبَّذا لو زاد في تعداد الكنائس القديمة التي لم يكُ بعدُ استولى عليها الخراب في عهد الدويهي

ولنتقدمنَّ على تفاصيل كل قسم من اقسام الكنيسة . فالحنيَّة كما سبق القول كانت محبَّبة بانواع النقوش والتصاوير التي افادنا الدويهي موضوعها (ص ١٠٤) قال : « وكان الآباء الاطهار يصوّرون الله الصباووت في حنايا الكنائس جالسًا على عرش العظمة . ويمثلون وجوه الحيوانات الاربعة حول العرش مع الملائكة وقوفًا يقدّمون لهُ البخور والمصابيح المتلألئة حولهُ وذلك لكي يرفع الكاهن نظرهُ اليهِ جلَّ جلالهُ عند ما يقدّم الطلبات في سرّ القدّاس الالهي »

وكان للموارنة في كنائسهم القديمة تنظيمات أُخرى احببنا ذكرها لتتمَّة الفائدة منها توجيه الحنيَّة الى الشرق . وزاد الدويهي في المنارة (١ : ١٠٧) : « وان يكون فوق الحنيَّة طاقة الى جهة الشرق لأنَّ الله ابو النور » . لكنَّ بعض الكنائس التي زرناها خلوٌ منها . ثمَّ أردف البطريرك المذكور : « وان يكون تحت الطاقة داخل الحنيَّة كرسيٌّ عالٍ في كنائس الاساقفة اشارةً الى عرش عظمتهِ . . . ويُنصب الكرسيّ في مكان مرتفع لاجل تعليم حقائق الايمان . . . ويُجعل درج تحت كرسيّ الاسقف وتُقام حولهُ مجالس ومساطب متفاوتة لاجل جلوس الخوارنة والبرادطة (١ والقسوس . . . ومثلما اوجب الآباء ان تُبنى المذابح من الحجر للدلالة على استمرار الذبيحة ودوامها اوجبوا ان تُبنى الكراسيّ في الحنيَّة من الحجر ايضًا (٢ »

١) جمع البردوط وهو زائر الكنائس . راجع المشرق (٣ : ٦٤٩)
٢) راجع منارة الاقداس (١ : ١٠٩–١١٤)

ومن الكنائس التي ترى فيها كلّ هذه الشروط مستوفاة كنيسة مار جرجس في اهدن فانّها كانت كنيسة اسقفية (١. هذا وانّ نصب كرسي الاسقف في الحنيّة عادة تفرّدت بها البيعة السريانية دون البيعتين اللاتينية (٢ واليونانية كما اشار الى ذلك العلامة الدويهي

وفي قدس الاقداس ما عدا كرسي الاسقف والكهنة بيتُ القربان او تابوت الاسرار كما دعاهُ العلّامة الدويهي وهذا نصّ كلامهِ (ص ١٠١) : « ويحوي تابوت الاسرار اربعة امور اي جسد الربّ والميرون المقدّس وزيت العماد وماء الدنح »

وهذه افادات أُخر عن المذبح المنصوب بازاء الاسقف نقلناها عنهُ ايضاً (ص١١٣) : « أمر الآباء المتقدّمون كما يتبيَّن في كنيسة مار سابا بمدينة بشرّاي وفي كنيسة السيّدة بمدينة حلب وغيرهما أنْ يُنصب فوق المذبح في الهياكل الكبيرة قبّة جميلة المنظر على اربعة اعمدة بأربع ستائر وفوق الزوايا الاربع اربعة تماثيل تشخّص الملائكة او الحيوانات الاربعة التي مرَّ الكلام عليها ويُجعل فوق القبّة تفّاحة وفوق التفّاحة صليب »

ولا بُدَّ ان يكون المذبح من الحجر مربَّع الشكل « لانّهُ مائدة ويمتدُّ في الطول بين الجنوب والشمال اكثر من امتدادهِ في العرض بين الشرق والغرب لاجل وضع كتاب القدّاس وحُقَّة البخور والتوافير وغيرها »

ويُحتّم بان يُجعل امام المذبح درجة او اكثر لكي يرتفع عن الحضيض (الدويهي ١ : ١١٤و١٤٤) وينبغي ألّا يكون « لاصقاً بالحائط قائماً بمعزل عنهُ » (٣ على عكس ما نراهُ اليوم في كثير من الكنائس المارونيّة · ومن المحتوم ايضاً « ان يجعل المذبح مجوّفاً لاجل رفع الفضلات المقدّسة (ص ١٤٤) وتُفتح كوّة من جهة الشرق لاجل وضع الذخائر ورفعها عند الاقتضاء · وقد تُنصب اخيراً مطهرة من جهة الجنوب بجانب

١) المنارة (١ : ٢٦٨)

٢) اما في الاجيال الاولى فكانت الكنيسة اللاتينية توافق السريانية في نصبها كرسي الاسقف في صدر الحنيّة (راجع مارتيني قاموس العاديّات المسيحية ص ١٢٧)

٣) وجاء في كتاب التكريسات الذي يُعنى الآن بنشرهِ الفاضل الاديب رشيد افندي الشرتوني (ص ١٩) : « يجب دائماً ان يكون المذبح الكبير قائماً بذاتهِ وحولهُ تصير الزياحات والرتب المرسومة من الآباء ولاجل ذلك امروا باقامة الحنيّة حولهُ من جهة الشرق حتّى لا يضايقهُ الحائط بتقدُّمهِ »

بعض المذابح كما ترى في كنيسة ماري جرجس كرمي اهدن ليغسل بهـا الكهنة والرؤساء ايديهم في خدمة الاسرار » (ص ١٤٥)

وكان امام المذبح درابزين وهو بمثابة الايقونستاس في كنائس الروم وكان لهُ مثلهُ ثلاثة ابواب بيد انهُ كان يختلف عنهُ بامور. قال الدويهي إمام المؤرخين الموارنة: « اوجب آباؤنا الاطهار ان تكون ابواب الدرابزين مفتوحة وجدرانهُ غير مسطومة بل مصنوعة بثقوب على مثال شبكة حتى يتمكّن الجميع من مشاهدة الاسرار. ولكنَّهم امروا الشمامسة ان يسبلوا الاستار في اوقات معلومة اجلالًا للاسرار (ص١٣٥)»

فكان اذًا الايقونستاس عند الموارنة اشبه بشبّكٍ ليس بناء مصمتًا كما في كنائس الروم. ولعلّهُ كان « كالشعريَّة » التي تفصل بين الرجال والنساء في كثير من كنائس لبنان الّا انهُ كان متقن الصُنع. وقد شهدنا في كنيسة السيدة في حدتون قطعةً من هذا الدرابزين القديم. ولا علم لنا أبقي منهُ في بعض الكنائس ام لا. امّا في عهد الدويهي فكانت هذه الدرابزين شائعة كما اثبت ذلك في منارة الاقداس (ص ١٢٨)

(ستأتي البقيَّة)

مطالب في بحث المطالب

للقس الفاضل جرجس منش الحلبي المارونيّ

يعلم الجميع انهُ لم يبلغ كتاب من كتب المتأخرين في علم العربيَّة ما بلغ اليـه هذا الكتاب « بحث المطالب » من ترامي الذكر وُبعد الشهرة وكثرة تداول الايدي لهُ واشتغال الناس بهِ على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وإجماعهم على ايثارهِ وتفضيلهِ على ما سواه من الكتب الموضوعة في فنَّي الصرف والنحو وتسابقهم الى طبعه ونشره مصدَّرًا باطراء مؤلِّفهِ الشهير الى غير ذلك مما حملنـا على ان نفرد لهُ هذه المطالب التابعة في الكلام عليهِ مؤلَّفًا ومخطوطًا ومطبوعًا ومختصرًا فنقول وبالله الاستعانة على الابانة

مطلب اوَّل في الكتاب مؤلَّفًا

رحمة الله ورضوانه على نفس مؤلِّفهِ العالم العلَّامة المدقق والامام الفهَّامـة المحقق السيد جرمانوس فرحات الحلبي الماروني الشهير فانهُ لما رأى « اقبـال المستفيدين من

المسيحيين منصباً نحو معرفة القواعد العربيَّة... لكن يدهم تقصر عن الوصول الى غايتها لاسباب..» جذبتهُ « عند ذلك يد الغيرة الاخوية جذب حنين الطبيعة الابوية الى احالة الحال المعجم وازالة الامر المبهم (١ » فألَّف في سنة ١٧٠٥ كتاباً سمَّاه « بحث المطالب » فجاء ضخماً جامعاً قواعد الصرف والنحو وشواردهما واتبعهُ في سنة ١٧٠٦ بكتاب حواشٍ عليه التحفني .نهُ بعض الاصحاب بكراسين يحتويان على حواشٍ على القسم الاول من كتاب النحو ولا اعلم عنهما غير انهما من مخطوطات اوائل هذا العصر التاسع عشر

بيد ان المؤلّف رحمهُ الله تعالى لمَّا رأى صعوبة نسخ ذلك الكتاب الكبير وتعذُّر تحصيل ما فيهِ من المطالب المسهبة اختصرهُ في اواخر عام ١٧٠٧ تسهيلاً لروَّام علم العربيَّة وسمَّى ايضاً هذا المختصر « بحث المطالب » وهو هو المتعارف بين الجمهور والمتداول من ايدي الناسخين والطابعين الى هذه الايام. امَّا البحث الكبير فاغتالتهُ ايدي الضياع على ما اظنّ لعدم تداولهِ وهذا هو الباعث الاول الذي حملني على تسطير هذه النبذة لعلّ الباحثين يعثرون عليهِ فيتحفون بهِ عالم العلم والادب. هذا ما امكن تحصيله عن الكتاب مؤلّفاً اوردتهُ مأخوذاً عن نسخة من المختصر يقول كاتبها انها « مختصرة من بحث كبير للمؤلف (٢ » وعن فهرست مؤلفات المؤلف والاثنتان « اي النسخة والفهرست » مخطوطتان في طوالع هذا القرن (٣

مطلب ثانٍ في الكتاب مخطوطاً

قال صاحب « جامع الروايات في اخبار جبريل فرحات » (٤ ما محصّلهُ: كان في عام

---

١) فقرٌ من مقدمة المؤلّف رحمة الله عليهِ

٢) هذه النسخة لرفيقي في المدرسة الخوري الجليل بطرس وهبه من شحتول في كسروان

٣) قد بحثنا في قائمة المخطوطات المصونة في امَّهات مدن اوربًّا لعلنا نجد سنداً لهذه الرواية فلم نقف على شيء سوى انَّ النسخة التي في خزانة باريس تدعو كتاب الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات « بحث المطالب وحثّ الطالب ». وهو اسم يختلف عن الاسم الدارج في اغلب النسخ المطبوعة « بحث المطالب في العربيَّة » اللهمَّ الَّا ما ورد في مقدَّمة المعلم بطرس البستاني الذي وافق النسخة الباريسيَّة في تسمية الكتاب. على انَّ اختلاف الاسم لا يدلُّ على اختلاف المضمون. ونعلم حقَّ العلم انَّ النسخة الباريسية كاخواتها الشائعة عندنا (المشرق)

٤) لا اعلم عن هذا الكتاب ومؤلّفهِ شيئاً لانني لم احصل منهُ الَّا على جزء يسير

١٧١٠ ان بلغ بحث المطالب الى احد طلبة المسلمين فنقلهُ وغيَّر اسم مؤلِّفهِ وشواهدهُ وبعض تركيبه واهداه الى احد اصحابهِ من علماء القسطنطينيَّة فلمَّا تصفحهُ هذا العالم وجده عقد درّ محكم التنضيد فاعجبهُ غاية الاعجاب. ثمَّ قدم بعد حين الى طرابلس الشام لامرٍ يعلمهُ الله تعالى فأطلعهُ احد النصارى على البحث واعلمهُ بان مؤلِّفهُ راهب يسمَّى جبريل فرحات ويقيم في دير ماري اليشع النبي قرب قرية بشرّاي فانذهل ذلك العالم وعلق يترقب جبريل الى ان عثر عليهِ فسألهُ: هل انت جبريل فرحات. فقال: اجل. فباحثهُ العالم طويلًا في العلوم ثم سألهُ: هل انت مؤلف البحث كما قال لي احد جماعتكم. فقال: بلى. فطلب العالم عندئذٍ نسخة منهُ فاستأتى لهُ بواحدةٍ من خطّ يدهِ المباركة فاثنى عليهِ ثناء طيبًا

واعلم ان المعلم بطرس البستاني ليس هو اول من ندّد بهذا الكتاب(١ فقد سبقهُ الى ذلك احد الملكيين الذين عاشوا في اوائل هذا القرن. قال « ان اسقفهُ دعاه الى التنديد ففعل مكرهًا . . . دون ان يذكر اسمهُ تواضعًا . . . ». اما تنديده فعلى اغلاط النسخة التي وقعت لديه ليس غير ونظنّ انها مكتوبة في اواسط القرن الماضي(٢. هذا ما عرفناهُ عن الكتاب مخطوطًا فبسطناهُ تلخيصًا

مطلب ثالث في الكتاب مطبوعًا

ان هذا الكتاب الجليل الفائدة كما تداولتهُ ايدي الناسخين نحوًا من قرن ونصف قرن هكذا تداولتهُ ايدي الشارحين والطابعين مرارًا فأطرأوهُ ومؤلِّفهُ معًا. قال المعلم بطرس البستاني في مقدمته عليهِ انهُ « اسهل ما أُلِّفَ من كتب الصرف والنحو مأخذًا واقربها تناولًا واعظمها نفعًا لكونهِ من احسنها ترتيبًا ». وقال في مؤلِّفهِ ما حرفه: « وانا اعترف بفضله علمًا وعملًا واشهد لهُ أنهُ منقطع النظير بين الملّة المسيحيَّة في علم العربيَّة »

١) ليست في الغالب اصلاحات المعلم بطرس البستاني تنديدًا وهو القائل في مقدَّمته: « واقول اني لم اتعقَّب عثارهُ على سبيل التنديد كأنَّهُ قد اخطأ واصبتُ بل تنبيهًا للمطالع ان يتبصَّر في احد القولين فيقضي لاحدهما ولعلَّهُ يقضي عليَّ فاستفيد لانَّهُ لا يستحيل ان اكون قد ركبتُ شططًا . . . واقرُّ باني قاصر عن البلوغ الى بعض طبقاتهِ . فان كنتُ اصبت ففي الزوايا خبايا وان كنت قد اخطأتُ فلمثلي الخطأ » (المشرق)

٢) وهذا دليل على انَّ النسخ التي نُقلت بعد زمن المؤلف بقليل تشوَّهت بالاغلاط (المشرق)

وقال المعلم سعيد افندي الشرتوني في الكتاب انهُ « باكورة التصانيف النصرانيَّة » وانهُ « يحتوي لباب كتب المتقدمين وينطوي على خلاصة تآليف المتأخرين ». وقال في مؤلّفهِ انهُ « مرجع المحفل الصرفي وخطيب المنبر النحوي » الى غير ذلك من النعوت والاوصاف التي اطرأ بها التابعون الكتاب ومؤلّفهُ الشهير. وهاك تعدد طبعاته المختلفة منذ ابرازه الى عالم المطبوعات

فطبعة مالطة الامركيَّة هي اول مطبعة طبعت هذا الكتاب في سنة ١٨٣٦ وصدَّرتهُ بنقوش هيروغليفية (المشرق ٣: ٥٠٤) وختمتهُ باعراب امثلتهِ دون ان تُحدث فيهِ شيئاً بل تركتهُ كما وصل اليها من ايدي النسَّاخ(١. ثمَّ ان مطبعة الحكومة اللبنانية طبعتهُ على مثال الطبعة السابقة الذكر(٢. ثمَّ ان المطبعة الامركية البيروتية طبعتهُ ايضاً في سنة ١٨٤٥ بعد ان اضاف اليهِ المعلم بطرس البستاني (المشرق ٣: ٥٠٦) حواشي وتعاليق ضافية الذيول سوَّلت لهُ ان ينسب الكتاب لنفسهِ(٣ فسمَّاه « مصباح الطالب في بحث المطالب ». غير انهُ افرط بتنديده بالكتاب ومؤلّفهِ رحمهُ الله تعالى. فمن هذا تنديدهُ بمجدِ الخال (ص ٢٩٣ من طبعتهِ) اذ قال: « أَنْبَهَم غير مأنوس » مع ان زيادة النون في « أَنْبَهَم » من النسَّاخ بلا شكّ. ومن ذلك تنديده بتعريف الموصول (ص ١٤٣) اذ قال: « والصحيح جزءًا بالنصب » مع ان اسقاط الالف من جزء هو من الناسخين ايضاً. الى غير ذلك من الاغلاط النسخية التي لا يتصور عاقل انها تقع لرجل علّامة كبير كالمؤلّف شهد لهُ الندّد « بانهُ منقطع النظير... في علم العربيَّة » فلو راعى ما احدثه النسَّاخ في الكتب المخطوطة من حذف وزيادة لما تعرَّض لأمثال تلك الاغلاط السخيفة. فتعالى تبارك من استأثر بالكمال وحدهُ

ثم طبعتهُ المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين الفضلاء في سنة ١٨٦٥ على مثال

---

١) بل اضاف شرولي طبعهِ في مالطة (ونظنُّهُ فارس الشدياق) نحو خمسين ملاحظةً على الاصل في ذيل الكتاب (المشرق)

٢) تمَّت هذه الطبعة سنة ١٨٧٦. وقيل في ختامها « تمَّ طبع هذا المؤلَّف على النسخة المطوَّلة بقلم المؤلف خلا الخاتمة في الاعراب». ومن قابل هذه الطبعة بطبعة المعلّم بطرس البستاني لا يخامرهُ ريبٌ في ان صاحبها جرى على طبعة المعلم بطرس في اكثر المواضع. ومن ثمَّ فقولهُ على النسخة المطوَّلة بقلم المؤلف دعوى بلا دليل (المشرق)

٣) في هذا القول غلوٌّ لأنَّ المعلّم بطرس البستاني بوضع هذا الاسم لم ينوِ نسبة الكتاب الى نفسهِ (المشرق)

الطبعتين السالفتين دون تغيير شيء منهُ. ثمَّ طبعتهُ في سنة ١٨٨٣ مصحَّحًا بقلم المعلم الفاضل سعيد افندي الشرتوني واعادت طبعهُ ستّ مرَّات متتالية (المشرق ٣: ٨٠٧) وهنا مقام نثني فيه على المصحح اللغوي لاعتدال لهجته في اصلاح اغلاط الناسخين وتعقُّبهِ عثار من اراد ان يحطَّهُ عن منصَّة الامامة. ثمَّ طبعتهُ في هذه الايام المطبعة اللبنانية عن نسخة بخطّ المؤلّف وذلك باهتمام جناب البارع خليل افندي باخوس (١ صاحب امتياز جريدة الروضة. والطبعة المذكورة تحت مناظرة الاب الفاضل الخوري نعمة الله باخوس الذي عاق على كتابي الصرف بعض حواشيهما. وجناب الاستاذ العلَّامة عبد الله افندي البستاني الذي زاد على مطالب كتاب النحو فوائد (٢. فنهدي طابعي الكتاب وشارحيه شكرًا وثناء ينتشر طيبهما على آخر الدهر

---

١) سرَّنا كون جناب خليل افندي باخوس عثر على نسخة بخطّ المؤلف. ولكن كنَّا نحبُّ ان يُبيّن ذلك بادلَّةٍ قاطعة لانَّ ما جاء في مقدَّمة هذه الطبعة الجديدة لا يقنعنا البتَّة وهذا قولهُ بالحرف: « امَّا نسبة هذه النسخة الى خطّ يد المؤلف نفسهِ رحمهُ الله فهي قائمة بحجَّة دامغة تصدع بالحقّ وتثبت الدعوى بانَّها رقم بنانهِ الطاهرة هي خلوُّها عمَّا كان المتقدمون يرونهُ من المغامز في غيرها من النسخ الخطيَّة ». قلنا انَّ هذا ليس « بحجَّة دامغة » لانهُ امكن احد اسلافهِ ان يصلح هذه الاغلاط. ثمَّ انَّنا قابلنا بين الطبعة الجديدة وبين نسخ خطيَّة قديمة هي في مكتبتنا الشرقيَّة وعند غيرنا من الادباء يشهد على احداها بعض الاساقفة انَّها منسوخة عن النسخة الاصلية فزاد ارتيابنا في قول الكاتب لانَّنا وجدنا في هذه النسخ الخطيَّة عدَّة فوائد لا اغلاطًا لم نجدها في الطبعة الجديدة. كباب افعال المغالبة مثل جاودتهُ فجدتهُ اي غلبتهُ في الجود وكتفسير معاني حروف الهجاء وغير ذلك فكيف نقضي بصحَّة هذه وفساد تلك؟ ولعلَّ بعض هذه النسخ مع ما طرأ عليها من اغلاط النسَّاخ هي الاصلية دون النسخة التي أُخذت عنها الطبعة الجديدة. وزد على ذلك انَّ المؤلف عاش دهرًا طويلًا من بعد تأليفهِ فامكنهُ ان يكتب منهُ نسخًا عديدة زاد في بعضها ونقَّص وحسَّن ونقَّح فلِمَ لا تكون هذه النسخ المختلفة جميعها لهُ الَّا ان بعضها دون بعض في الحسن والاصلاح

وعلى كل حال انَّنا نتمنَّى ان يُبطل مُجدّدو طبع هذا الكتاب الجليل حججنا بادلَّة اقوى من الدليل السابق مثلًا بان يعرفونا تاريخ الكتاب او يقابلوا بين خطّ نسختهم وخطوط اخرى كُتبت بيد الحبر العلَّامة جرمانوس فرحات وفي مكتبتنا الشرقيَّة كتاب بخطّ يدهِ الطاهرة يمكنَّا الاستدلال بهِ على اصل النسخة المرقومة. ويا حبَّذا لو اتحفنا اصحاب هذه الطبعة بصفحة من الاصل الخطيّ مأخوذة بالفوتوغراف كما هو دأب العلماء المحقّقين (المشرق)

٢) ونأخذ على هذه الطبعة الجديدة بعض المآخذ: (اوَّلها) اختلاف اصحابها في طريقة الطبع فانَّ الجزء الاول طُبع فيهِ المتن بحرف كبير والشرح في ذيلهِ بحرف اصغر بخلاف الجزء الثاني فانَّ حرفهُ كلَّهُ صغير والشروح ممزوجة بالمتن فلا يكاد المطالع يميّز بين نصّ المؤلف وحواشي

مطلب رابع في الكتاب مختصرًا

لقد صادف هذا الكتاب — كما رأيت — حظًّا واقبالًا في اطواره السابق الإيماء اليها ولم يعدم ذلك في هذا طوره الرابع. فانصرفت همم بعض العلماء الى تلخيصه واختصاره مع انهُ مختصر كما علمت. وذلك بلا ريب دليل على « قرب موعده وعذوبة مورده » كما قال الاستاذ اللغوي سعيد افندي الشرتوني. فاختصرهُ بادئ ذي بدء البطريرك مكسيموس مظلوم اذ كان بعدُ مطرانًا ودعاه « الاصول الصرفية والقواعد النحويّة » وطبعهُ في رومية العظمى سنة ١٨٣٠ لافادة تلاميذ مدرسة عين تراز الملكية الاكليركية (١ ثمَّ لخصتهُ مطبعة مالطة الامركية تحت عنوان « الاجوبة الجلية في الاصول النحويّة » وطبعتهُ في سنة ١٨٤١ (المشرق ٣: ٥٠٤) ثمَّ اختصرهُ المعلم بطرس البستاني تحت عنوان « مفتاح المصباح » وطبعهُ في المطبعة الامركية البيروتية سنة ١٨٦٢ (المشرق ٣: ٥٠٦) وجعلهُ كمصباح يهتدي بهِ الطالب الى بحث المطالب (٢

الشارح. (ثانيا) انَّ هذه الطبعة دون الطبعات السابقة من حيث اتقان الطبع وجودة الورق لا سيما الجزء الثاني. (ثالثا) انَّ متولي طبعها مع كثرة ما استفادوا من طبعتي المعلمين الفاضلين بطرس البستاني والشيخ سعيد افندي الشرتوني اهملوا ان يذكروا اسميهما كانهم لم يعلموا بوجودهما. (رابعا) انَّ في هذه الطبعة اغلاطًا طبعية عديدة لم ينبَّه اليها في آخر الكتاب. كما ترى في الجزء الاول بين الصفحتين ١٠٢ و١٠٣ في الحواشي وكقولهِ مرَّتين (ص ١١١): « ضفضع » بدلًا من « ضفدع ». وفي الجزء الثاني (ص ١١٢: « تكون الشمالا » والصواب « تكون الثالا » وفيهِ (ص ١٠٨): « ولا وزْ مماً قضى الله واقيًا » والصواب « وزرٌ » وفيهِ (ص ١١٠): « الى حمامنا » والصواب « حماتنا ». وكذلك كنَّا احببنا لو اشار الشارح في القسم الاول الى ما بيَّنهُ حضرة الفاضل اللغويّ الاب حنَّا خليل مرتا في المشرق (٢: ٩٧٧) بخصوص أفمال جمع فَمْل فلا يقول (ص ٢٦١) « انَّ هذا الجمع غير مقيس في مذهب الجمهور » وقد اثبت حضرتهُ قياس هذا الجمع بثلاثمائة وثلاثين مثلًا. (خامسها) انَّ الشارح لم يحاشِ بعض امثالٍ غزليَّة في كتابٍ يتداولهُ صغار المدارس (المشرق)

١) راجعنا كتاب « الاصول الصرفية والقواعد النحويَّة » للسعيد الذكر مكسيموس مظلوم فرأيناهُ كتابًا مستقلًّا بذاتهِ لا تلخيصًا من بحث المطالب وانَّما استفاد فقط مؤلفهُ الجليل من البحث كما اشار الى ذلك في مقدَّمتهِ (المشرق)

٢) لم يُشعر المعلّم بطرس البستاني في مفتاح المصباح انَّهُ اختصر كتاب بحث المطالب وكليهما طريقة مختلفة قائمة بذاتها (المشرق)

خاتمة

بعد تسطير ما تقدّم خطر على البال ما اكّده لي بعض الاصحاب من وهم عم وساد على عقول الكثيرين وهو انّ البحث الكبير مزقهُ الاستاذ الكبير الشيخ سليمان الحلبي الشهير لمّا عرضهُ عليهِ تلميذهُ المؤلف حسدًا منهُ وبغضًا. فعاد اذ ذاك الى تأليف كتابه المختصر المتعارف اليوم بين ايدي الجمهور ولكن هذا القول منقوض من وجوه اخصّها اولًا ما بسطناهُ في المطلب الاول ملخصًا عن اصدق الرواة الذين يركن اليهم كما رأيت. ثانيًا ان المؤلف ألّف الكتاب في لبنان في حين انهُ لم يكن محتاجًا الى ان يعرضهُ على استاذه المذكور. وهب انهُ عرضهُ عليهِ فلا يتأتى لعقل عاقل ان يتصور ان مؤلّفهُ المشار اليهِ لا يبقي عنده نسخة منهُ. ثالثًا لو طالعت نتف كتاب جامع الروايات الآنف الذكر لقضيت عجبًا ممّا كان يبديه الاستاذ المذكور من الاعجاب البالغ من تلميذه المؤلف حتى انهُ كان يبكي فرحًا كلما قرأ شيئًا من مؤلّفاته. ولا يتصوّر انّ من كانت هذه صفتهُ يقدم على ذلك الفعل الشنيع. والذي يظهر لي ان هذا الخبر محرّف عمّا رويناه في المطلب الثاني كما يظهر بادنى تأمل

فهذا ما كان من امر هذا الكتاب النادر المثال مؤلّفًا ومخطوطًا ومطبوعًا ومختصرًا فعلى مؤلّفهِ الشهير رحمة الله ورضوانهُ ما تلا الطالب منهُ حرفًا او حروفًا

الايقاع في الشعر العربي

للاب خليل اده اليسوعي (تابع لما سبق)

٤

من جملة الايقاعات التي اوردها صفي الدين البغدادي في رسالتهِ الشرفيَّة دورٌ غنائي يسمَّى الرمل هذه احدى صورهِ :

فَعِـلاتن فَعِـلاتن ثمَّ يُعاد (١

٢٠٢٠١٠١٠ ٢٠٢٠١٠١٠

---

١) كنَّا اشرنا في اوَّل مقالتنا الى الزمن بخطٍ مستقيم والى النقرات بنقط ولكنَّا حبًّا بالاختصار اهملنا هذه الخطوط وكنَّينا عن الازمنة ومقاديرها بالاعداد. وكذلك كان يجب ايضًا في آخر كل دور رسم اوَّل نقرة من الدور التالي لأنَّ تحديد كلّ زمن يقتضي نقرتين. فضربنا عن رسمها صفحًا واعتبرناها مقدَّرة

فتكون جملة هذه الازمنة ١٢ زمنًا. ثمَّ في الشعر ايضًا بحرٌ يقـال لهُ الرمل يأتي مجزوءُه على هذه الصورة عينها: « فعِلاتُنْ فعِلاتُنْ » بعد دخول الزحافات المأنوسة عليه فلا أرى بدًّا من القول ان لدور الرمل في الغناء ولبحر الرمل في الشعر ايقاعًا واحدًا. ولنا في شهادة الصبَّان (١) ما يؤيد هذه النتيجة فانَّهُ قال في كلامهِ عن اصـل تسمية بحر الرمل انهُ دُعي بذلك « لانَّ الرمل هو نوع من الغناء يخرج على هذا الوزن » يريد وزن الرمل الشعريّ.

فاذا ثبت ان للرمل في الشعر والغناء وزنًا واحدًا يمكننا ان نعرف ازمنة المقاطع في الرمل الشعري اعني انَّها تتوالى على هذه الصورة:

فَـعِـلَاتُنْ فَـعِـلَاتُنْ
٢٠٢٠١٠١٠ ٢٠٢٠١٠١٠

فترى انَّ ازمنة كلّ جزء ستَّـة

لكن الكل يعلمون ان « فَاعِلَاتُنْ وفَعْلَاتُنْ (٢) » تقومان مقام « فَعِلاتُنْ » فيجب اذن وفقًا لما قدَّمنا عن ضرورة تساوي الازمنـة في الاجزاء ان يكون قياس كلّ من « فَاعِلَاتُنْ وفَعْلَاتُنْ » ستة ازمنة ايضًا. ولكن كيف نقسم هـذه الازمنة الستة بين مقاطع كل جزء.

امَّا فَعْلَاتُنْ فوجه تقسيمه ظاهر:

فَعْـلَاتُنْ
٢٠٢٠٢٠ = ٦ ازمنة

اما فَاعِلاتُنْ فانَّهُ على حسب القياس السابق يساوي سبعة ازمنـة فتكون زيادة زمنٍ في الجزء. خلافًا لاسيما اذا تكرَّر في البيت كما مرَّ. وعليهِ فطلبنـا قياسًا آخر لحلّ الشكل فنقول: اذا تأملنا كيف تحوَّلت:

فَـعِـلَاتُنْ ٢٠٢٠١٠١٠
الى: فَعْـلَاتُنْ ٢٠٢ ٢٠٠٠

رأينا ان النقرة الثانية من الاصل سقطت واختلط زمنها بالزمن الاول فصارا زمنًا

---

١) راجع شرح الصبَّان على منظومتهِ في العروض ص٥٥

٢) ولم اذكر « فاعلاتُ » مع كون ازمنتهِ ستَّة ايضًا وذلك لانَّ تجزئتهُ (١٠٢٠١٠٢٠) مختلفة تغيّر رنَّة الايقاع ولذلك أُهمل استعمالهُ

واحدًا طويلًا يساوي زمنين. الّا انهُ يمكن وجود حالة ثالثة للنّقرة الثانية وزمنها تتوسط بين الحالتين الاولين وذلك بان تثبت تلك النّقرة الثانية مع تثقيل الزمن الذي قبلها وتخفيف الزمن الذي بعدها فيصير الأوّل مساويًا زمنًا ونصفًا والثاني نصف زمن

فـا عِـلَاتُنْ

٢٠١١/٢٠١١/٢٠٢٠

وبهذه الصفة تتساوى ازمنة فَعِلَاتُن وفَعْلَاتن وفاعلاتن. وعليهِ فتكون المقاطع المتحركة على قسمين قياس الاول زمنٌ تامٌّ وقياس الثاني نصف زمن. وكذلك المقاطع الساكنة نوعان نوعٌ قياسهُ زمنان ونوعٌ قياسهُ زمن ونصف زمن

تَ = { ١ سريع، ١/٢ اسرع } (زمن)   تنْ = { ١ ١/٢ بطيء، ٢ أبطأ } (زمن)

وهذه الاقيسة كافية لبيان تساوي الازمنة ليس فقط في اجزاء الرمل لكن في اجزاء بقيّة الابحر اللهمّ ما كان منها مأنوس الاستعمال

ولا حاجة الى تنبيه الادباء انّ رأينا هذا (١ لا يخلّ بحقوق اللفظ لانّ المقاطع المتحركة اسرع من الساكنة. ولا بدع لانّ تساويهما بالطول عيبٌ (٢. امّا كون المتحركة سريعة فأسرع والساكنة بطيئة فأبطأ فهو امر طبيعيّ بل عكسهُ اصعب لأنك لو حاولت لفظ المقاطع المتحركة كلها بزمن واحد لما استطعت ذلك الّا بالاحتراز والتأنّي

ولنا في اقوال المؤلفين الاقدمين ما يؤيد قولنا هذا عن وجود زمن متوسط بين

---

١) وهذا الراي قد سبق اليهِ من اعمل النظر في نظم اللاتين واليونان. فانّهم لمّا بحثوا عن البحر المعروف عندهم باسم (iambique) الذي تأتي اجزاؤهُ مزدوجة (٢٠١٠٢٠١٠ مثل مَفَاعِلُن عندنا) وجدوا ان المقطع الاول يجوز ابدالهُ بمقطع بطيء. فرأوا ان هذا التغيير يُخلّ بالوزن ما لم يُقَل انّ نصف المقطع الثاني نُزع عنهُ ليضاف الى الاول فصار ٢٠١١/٢٠١١/٢٠١٠١ (كمُسْتَفْعِلُن. عندنا) وهو عين قولنا في الشعر العربي (راجع Croiset : *poésie lyrique des Grecs*, 32)

٢) وهذا كثيرٌ في الانشاد فان المنشدين مراعاةً للوزن يحملون المتحرك كالساكن فيلفظون ما جاء على «مفاعلن» كانهُ على «مستفعلن»

الزمن الاول = ١ سريع الهزج والزمن الثاني = ٢ خفيف الهزج . قال الفارابي بعد ذكره الايقاعات الموصولة التي يلي نقراتها وقات (١ :

« اما الموصولات التي لا تعقب نقراتها وقات فهي صنفان احدهما هو الذي يعقب نقراتها اسرع نقلة بين نقرتين (وهو الزمن الاول) والثاني هو الذي يعقب نقراتها حركات « ابطأ من اسرع نقلة تمكن بينهما » (يريد ابطأ من الزمن الاول) « واسرع من نقلة تتعدد منها وقنة بعد نقرة » (اي اسرع من الزمن الثاني) . وهذا الثاني « متوسط » في زمان اخف الموصولات (وهو الزمن الاول) وبين السادس من ذوات الوقفات (٢ (يريد الزمن الثاني) »

فيظهر صريحًا من هذا القول أنهُ يوجد وزن قياسهُ متوسط بين ١ و ٢ اي ١/٢ ١.
فان كان الامر كذلك في ايقاع الغناء فما المانع من قبول زمن متوسّط في ايقاع الشعر تقاس به المقاطع وان كانت ساكنة

واما الزمن الاسرع فلا حاجة الى ايضاح امكانه فهو ظاهر كما مرَّ بك وعلى هذا المبدإ بنى العرب قولهم عن الرَّوْم والاشمام والاختلاس

(فائدتان) يظهر ممَّا سبق : اوَّلًا ان الطريقة لمعرفة الادوار الشعريَّة يمكن الوقوف عليها بمعرفة ما جاء من اشباهها في الادوار الغنائية . فترى مثلًا انَّ الدور الثقيل الأوَّل عند صفيّ الدين البغداديّ يتألّف من ١٦ زمنًا :

مستفعلن فعلن مستفعلن
٢٠١٠١٠٢٠ ٢٠١٠١٠ ٢٠١٠٢٠١٠

فاذا قابلناهُ بمجزوء البسيط مع ما يجوز فيهِ من الزحافات وجدنا بين الايقاعين تشابهًا لا نظنُّهُ وقع على سبيل الاتفاق ليس الّا

وكذلك اورد صفي الدين دورًا آخر مركبًا من ١٦ زمنًا يدعوهُ خفيف الثقيل هذه تفاعيلهُ

فعلن فعلن فعلن فعلن
٢٠١٠١٠ ٢٠١٠١٠ ٢٠١٠١٠ ٢٠١٠١٠

وهو كما ترى نفس الخبب من بحر المتدارك . ثمَّ يصحُّ هنا في « فَعِلُنْ » ما قلناهُ

---

١) راجع الصفحة ١٤٩ من طبعة كُسغارتن

٢) اطلب ايضًا ما يقولهُ الفارابيّ في هذا المعنى (ص ١٣٩) وفي باب التمخير (ص ١٧٥) وراجع ايضًا رسالة اخوان الصفا في الموسيقى (ص ٩٠)

عن « فَعِلاتُنْ » اعني انَّ فَعِلُنْ تُبدل بفاعِلُنْ وفعْلُنْ كما تُبدل فَعِلاتُنْ بفاعِلاتُنْ وفعْلاتُنْ لتساوي الازمنة في الحالتين (١

ثانيًا انَّ التفاعيل التي يدعوها العروضيُّون اجزاء اصليَّة لا يصحُّ فيها هذا الاسم الَّا نظريًّا من باب الاصطلاح. وامَّا كونها اصليَّة من اصل وضعها فذلك لا يمكن القطعُ بهِ جزمًا. ولقد تبيَّن لك من قولنا في بحر الرمل انَّ اصلهُ في وضع الشعراء « فَعِلاتُنْ » لا « فاعِلاتُنْ ». وليس هذا مناقضًا لقول الخليل واضع فنّ العروض لانَّ هذا الامام كانت غايتهُ في اتخاذ هذه الاجزاء ان ينهج طريقًا سهلة لتعليم صناعة النظم وتسهيلًا لحفظها وتقريبًا لورودها فجعل هذه التفاعيل اصولًا واعتبر التغييرات الواقعة فيها كزحافاتٍ منها مأنوسة ومنها غير مأنوسة. لكنَّهُ لم يفصل بكون هذه التفاعيل هي الاوزان « الأولى » التي وضعها الشعراء قبلهُ وفرَّعوا منها بالزحافات بقيَّة الاجزاء. وممن ارتأوا هذا الرأي قبلنا العلَّامة دي ساسي المستشرق الشهير في كتاب العروض الذي جعلهُ في آخر غراماطيقهِ. ولذلك لم نتَّخذ دوائر العروض اساسًا لبحثنا عن حقيقة الايقاع

٥

بقي علينا لتتمَّة كلامنا عن الايقاع ان نضيف اليهِ شيئًا ممَّا يدعوهُ الفرنج « الزمن القويّ » (ictus, temps fort) ووجهُ تسميتهِ بذلك يترتَّب على ما مرَّ بك من أنَّ الايقاع جملة ازمنة متناسبة محدودة بالنقر تتعاقب بادوار متساوية فلا بُدَّ للسامع انْ يميّز هذه الادوار بسهولة ولذلك اعتادوا ان ينقروا نقرةً اشدّ في اوائل الادوار فسمَّوا زمن هذه النقرة الاولى « الزمن القويّ » (٢»

والزمن القويُّ لا يختصُّ بايقاع الغناء فقط بل يكون في ايقاع الشعر ايضًا فانَّ المنشد يشدّد المقطع الذي يقع عليهِ هذا الزمن القويّ وهذا التشديد يدعوهُ الفرنج (accent métrique) توافقهُ عندنا لفظة « النبرة » (٣. ففي الوزن اللاتيني واليوناني

١) ويصح عن فعلن ما سيأتي عن النبرة وموضعها من فعلاتن لأنَّ « الرمل كالخبب » كما قال ذلك ابن السكيت في تهذيب الالفاظ (ص ٢٩٠)

٢) وارتأى بعضهم ان الزمن القويّ عند الاندبين كان في آخر كل دور

٣) النبرة في استعمال القرَّاء والمتنين رفع الصوت على احد مقاطع الكلمة. ولمَّا كان

القديم الذي ذكرناه المسدَّس (hexamètre) تكون مواقع هـذه النبرات على اوائل الاجزاء.

فما قولنا في الشعر العربيّ هل لجمله ايضاً ازمنة قويّة؟ هل لمقاطع تفاعيله نبرات؟ أقرّ بكلّ سذاجة اني لم أرَ لهذا الامر ذكرًا في المؤلّفات التي اخذتُ عنها (١. ألعلّ العرب لم يحتاجوا الى هذه النقرة القويّة للتمييز بين ادوار ايقاعاتهم لأنّها تنتهي بفواصل اطول من الازمنة الواقعة بين نقرات الجملة فيسهُل على السامع ادراك اوائلها؟ لكنّي لا ارى هذا كافياً لنفي الامر مع كونه طبيعياً نختبره كلّ يوم في الغناء والزَّمر والدّق على الطبل والرقص. او ليس الاحرى ان يقال انهم سكتوا عنـهُ لكثرة شيوعهِ بينهم (٢

فهيّاً بنا اذن نسعى وراء المطلوب. ولا تقل انّ هذه النبرات تقع في اوائل الادوار وانت لا تعلم اي النَّقرات هي الأُولى. فانّ الرمل مثلًا ورد عند صفيّ الدين على صور مختلفة من حيث التجزئة كما ترى

١ُ مُفتَعِلاتُن فَعِلُنْ (او مُفتَعِلُنْ مُفتَعِلُنْ) ٢٠١٠١٠٢٠٢٠١٠١٠٢٠ الخ
٢ُ – فَعِلاتُن فَعِلاتُنْ ٢٠٢٠١٠١٠٢٠٢٠١٠١٠ الخ
٣ُ وباسقاط بعض النقرات ٢٠ ٢ ٠٤ ٠ ٤ الخ

فترى من الشكل الاوّل والثاني انّ بدء النُّقَر يختلف ولا بأس من ذلك لأنّك .

تشديد الصوت في اللفظ يؤدي الى ارتفاعهِ في الغالب اصطلحنا على هذه اللفظة ولو وجدنا لفظة اخرى عند الاقدمين لاستعملناها الّا انّنا لم نقف في تآليفهم على ذكر هذا الباب البتّة

١) النقرات عند المحدثين على نوعين «تَكْ» و«دُمْ» لكنّ النقرة القويّة تقع على كلّ منهما على حدٍّ سوى. ثمّ ان بعض ايقاعات المتمّين يتوالى فيها ضرب التّك دون ابطاء وهذا لا يصحّ في النقرات القويّة اذ لا بد لها من ازمنة او نقرات خفيفة تتخللها

٢) ورد في الاغاني (طبعة مصر٢ : ١٢٥) عن مالك بن ابي سمح قال «اني سألتُ يومًا ابن سُرَيج عن قول الناس فلان يصيب وفلان يُخطئ وفلان يُحسن وفلان يسيء فقال: المصيب المحسن من المغنّين هو الذي يُشبع الالحان ويملأ الانفاس ويعدّل الاوزان ويفخّم الالفاظ ويعرف الصواب ويقيم الاعراب ويستوفي النغم الطوال ويحسن مقاطيع النغم القصار ويصيب اجناس الايقاع ويختلس مواقع النبرات ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات. فعرضتُ ما قال على معبد فقال: لو جاء في الغناء قرآن ما جاء الّا هكذا». قلنا فيظهر من هذه الرواية ان كلمة «نبرة» مرجعها الى الايقاع. فلم لا يكون اذن معناها ما أردنا آنفًا ؟

اذا واصلت النَّقر لا تلبث الادوار ان تتوالى كما هي بتمامها فلا يتغيَّر اذن الايقاع (١. ورأْي الفارابيّ ان لا يبتدئ الناقر من اوَّل الدور كَيْ يخيَّل للسامع تعلّقًا بما سبق (راجع قولهُ في طبعة كسغارتن ص ١٦١). وعليهِ فلا يسعنا القول ايّ نقرة هي اوَّل الدور من مجرَّد وقوفنا على قياسات الازمنة وتنظيمها. ولكن اذا ما قابلنا الشكل الثالث مع الاوَّل لعلّنا نهتدي الى الصواب فانَّ النقر فيهما يبتدئ بالزمن عينهِ ولكن يختلف الثالث عن الاوَّل بسقوط النقرة الثالثة والخامسة والسابعة والثامنة من الشكل الاول. ثمَّ اذا تأمَّلنا الشكل الاوَّل او الثاني رأينا انَّ الدور يتألَّف من دورَيْن متساويين اعني انك تجد بعد اربع نقرات او اربعة ازمنة متوالية ايَّة كانت اربعة ازمنة اخرى هي عين الاولى الخ. ولذلك قالوا في استعمال التفاعيل « مُفْتَعِلُنْ مُفْتَعِلُنْ » او فَعِلاَتُنْ مرَّتين. وعليهِ يمكننا القول وفقًا لما ذكرناهُ عن النقرة القويَّة والنبرة التي توافقها في لفظ التفعيل انَّ في كلّ اربع نقرات نقرة قويَّة او في كل جزء مثل مُفْتَعِلُنْ نبرةً ولا يتغيَّر مطلقًا محلّ ذلك « الزمن القويّ » او تلك النبرة في الجزء اعني انهُ اذا وقع على مقطع « مُفْ » من مُفْتَعِلُنْ في اوَّل جملة يقع عليها دائمًا في بقيَّة الاجزاء. لأنَّ كلَّ هذه الجمل متساوية فيكون بين النبرة والنبرة بُعد ٦ ازمنة

فينتج من كلامنا انَّ في كل دور من الرمل نبرتَيْن بُعدهما عن بعضهما ٦ ازمنة. فان كان الامر كذلك وجب وجود هاتين النقرتين في الضرب بمقتضى الشكل الثالث

---

١) ومن ثمَّ ترى انَّهُ من الممكن وقوع اختلاف في الابحر دون اختلاف الايقاع. وهذا ما ارادهُ العروضيُّون بوضعهم دوائر فنّ العروض فانَّ لكلّ دائرة ايقاعًا واحدًا يشمل عدَّة ابحر على حسب عدد النقرات. قال القديس اغوسطينوس في تأليفهِ عن الموسيقى (ك ٣): « كلّ بحرٍ ايقاع وليس كلُّ ايقاع بحرًا » لانَّ الايقاع هو توالي ادوارٍ لا يُحَدُّ عددُها وامَّا البحر فانَّهُ يتضمَّن عددًا معلومًا من هذه الادوار ولذلك سمَّاهُ القدماء μέτρον وترجمهُ القديس المذكور بلفظة mensura او mensio اي قياس. وعليهِ فيتَّضح لك انَّ الرَّمل مثلًا ومجزوَّهُ ايقاعٌ واحد لانهما لا يختلفان الَّا بعدد الاجزاء وكذلك لا تختلف الايقاعات الآتية لتساوي ازمنتها:

فَعِلاَتُنْ فَعِلاَتُنْ فَعِلاَتُنْ... الخ
– مَفَاعِيلُ مَفَاعِيلُ مَفَاعِيلُ... الخ
—— مُسْتَفْعِلُ مُسْتَفْعِلُ مُسْتَفْعِلُ... الخ
——— مُفْتَعِلُنْ مُفْتَعِلُنْ مُفْتَعِلُنْ... الخ

لأنـهُ من جهةٍ لا يختلف عن الاوَّل الَّا بسقوط بعض النترات ومن جهـة اخرى لا تسقط فيـهِ النبرتان لعظم شأنهما وهما كمحور الضرب في الايقاع. والحال ليس بين النُّقَر الباقية في الشكل الثالث الَّا النقرتان الثانية والرابعة اللتان بينهما ستَّة ازمنة اذاً همـا النقرتان القويَّتان يناسبهما في التفاعيل التاء في «مُفْتَعِلُنْ» والفاء في «فَعِلَاتُنْ» فالنبرة تكون اذن على هذين الحرفين. وان انشدت بيتاً يتركب من فَعِلَاتُنْ كما في الرمل فينبغي نبر الصوت على اوَّل كلّ جزء منهُ(١ مع مراعاة ازمنة المقاطع كما قلنا. مثال ذلك :

رُبَّ | رَكبٍ | قدْ أَناخوا | حَولنا | يَشرَبونَ الْـ | خَمرَ بالما | ءِ الزُّلالِ. |

وقد اشرنا الى النبرة بعلامة (ٗ) فوق المقطع الذي «زمنـهُ قويّ». امَّا النقطة في آخر الشطر فهي عبارة عن سكوت يساوي زمنين. ولزمن السكوت اعتبـارٌ في الايقاع كما لا يخفى(٢

هذا وكان بودّنا ان نؤيد قولنا عن حقيقـة وزن الرَّمل وخصوصاً من حيث النبرة بشواهد من الالحان العربيَّة القديمة الشائعة حتى الآن في المشرق فلا شـكَّ ان قسماً عظيماً منها يتداولهُ ارباب الصناعة. بل جمهور الشعب(٣. وانَّنا لا نيأس من بلوغ اربنا اذا ما اتمَّ حضرة الاب كولنجت الدروس التي باشرهـا عن فنّ الموسيقى بين العرب. وما يضمن لنا نجاح مسعاهُ طول باعهِ في العلوم الموسيقيَّة مع معرفتـهِ لعادات الشرقيين وآدابهم. ارشدنا الله وايَّاهُ الى كلّ قول صواب

---

١) من شأن النبرة ان تمدَّ الصوت غالباً. ولعل ذلك هو الداعي لابدال فَعِلَاتُن بفَاعِلَاتُن

٢) اذا قابلنا هذا الايقاع بالاوزان الشائعة في الغناء الفرنجيّ وجدنا انَّهُ هو الوزن المسمى عندهم بالمثلَّث (mesure à 3 temps). لانَّ سريع الهزج عندهم بمثابة ما يدعونهُ (croche)

٣) انَّ معرفة الحداء القديم تؤدّي بنا الى معرفة ايقـاع الرجز. ورد في كتاب الاغاني (طبعة مصر ٢: ١٦٢) «... ما تقولون في «الرجز يعني الحـداء». قالوا: لا بأس بهِ عندنا. قال: فما الفرق بينهُ وبين الغناء... الخ». وجاء مثل ذلك في مروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس ٨: ٩٢) في جملة قول عبد الله بن خرداذبه للخليفة للمعتمد

الشهامة في حب القريب

تعريب المعلم الفاضل يوسف ابي سليمان مدرّس العربية في كلية القديس يوسف

(تتمَّة لما سبق)

على انَّ الراعي الصالح المذكور لم يبذل نفسهُ دون خرافهِ في هذهِ المرَّة فقط. فما مرَّ عليهِ عشرة ايَّام مذ أبلَّ الجنديّ المجدور وعاد الى وطنهِ سالمًا شاكرًا للكاهن مخلّصهِ حتى اصاب القرية داء اثقل من الجدري. فانَّ العدوَّ كان يقترب من القرية بخيلهِ ورجلهِ لا يبقي ولا يذر

فتصدَّت لهُ في طريقهِ شرذمة من الفرنسيس والتحم القتال بين الفريقين فعلا الصراخ ودوت المدافع كالرعد القاصف وتساقطت القنابل على الارض كالبرد وحجب دخانُ البارود الحالك عينَ الشمس

ففي تلك الاثناء كان اهل القرية يذوقون الموت وينتظرون من دقيقة الى اخرى قدوم العدوّ لا يعرفون ما سينالهم بورودهِ من الويلات. ولم يكن الكاهن الغيور السابق ذكرهُ ليهملهم في ساعة المحنة بعد ان ضحَّى نفسهُ لاجل جندي غريب. فجمع الرعية في الكنيسة واخذ يقوّيها ويوطّد آمالها

وما عتَّم ان عزفت ألحان الحرب ولا عزيفَ الجنّ واذا باشباح كانها من قوم العمالقة لاحت منحدرةً في تلك الاودية لا عدَّ لها ولا عديد وهي لا تلوي على شيء حتى ادركهم الليل

فامر حينئذٍ المشير ان يأخذ الجند نصيبًا من الراحة تلك الليلة قبل مواصلة السير الى الامام فأقام لذلك الحرس من الجهات الاربع فكانوا يطوفون حول الجيوش متيقّظين كلهم آذان تسمع وعيون تبصر لئلا يبغتهم باغت او يكمن لهم كمين

على انَّ العسس مع ما كانوا عليهِ من التحفّظ لم يتمكّنوا في جوف الليل من نظر بطلين في عنفوان الشباب كانهما أسدان برزا من مكمن واحدٍ فاخذا يجولان ويفرّان من وهدةٍ الى وهدة ومن دغل الى دغل ومن عوسجةٍ الى عوسجةٍ حتى دنوا من ذلك المعسكر فأطلقا عليهم النار اربعًا وكرًّا على اعقابهما كالبرق وهما يزأران ولا زئير السباع

فرميا منهم ثلاثة أصابهم الرصاص في صدورهم فاصماهم امَّا الطلق الرابع فانَّهُ أصاب ضابطًا في امّ رأسهِ فأطار لهُ قبعتـهُ وفلق فلقةً من هامتهِ فخرَّ وهو يصيح : دونكم بنـادق الصيد ذوات الطلقين . وللحال أطلق العدوّ على هذين البطلين نيّفًا وعشرين طلقًا فدوى الرصاص في آذانهما وسقط حواليهما ولم يمسَّهما من ذلك شبهُ اذى

ولمَّا كان الصباح انطلقت كتيبة في طلب الجانيَين متوجهةً الى القرية فصـادفوا عند مدخلها ستة رجال من اهل المحلّ فقبضوا عليهم وساروا بهم الى شيخ الضيعـة فعظَّم ضابطهم الامر وقال: « انت هنا صاحب الامر والنَّهي . إذن انا آتٍ اليك من قبل مولاي لاعلمك انَّهُ قد أُطلقت النار على جنود جلالتهِ اربع طلقات . فاختر امَّا ان تدفع الينا أصحاب الجريرة فنقتلهم بمن قُتل من اصحابنـا وامَّا ان نقتل ستة رجال صاروا في حوزتنا وقبضتنا ليكون ذلك عبرةً زاجرةً . ونُفسح لك في الجواب الى ظهر غدٍ . واعلم ان ضيعتك قد اصبحت تحت الحكم الحربيّ » . ثم تحولوا من هنالك يبحثون عن موضع يجعلونهُ معتقلاً

فاضطرب الاهلون وارتعدوا واخذت النسـاء تصيح وتنادي بالويل والثبور وطفق الرجال يلتمسون المخرج ممَّا وقعوا فيهِ فلم يجدوا لهم مفرًّا من وجه العدوّ الذي كان قد دار بالقرية من اربع جهاتها . فتجمعوا في دار الشيخ وقضوا ما بين الصيحات والزفرات انَّهُ لا بُدَّ من تسليم الذين اوقعهم القدر بين ايدي الاعداء لانَّ الجانيـين لم يكونوا من قريتهم ولم يكُ لاحدٍ معرفة بهما

هذا ولمَّا يئسوا وحبطت منهم المساعي قضوا ذلك النهار ينوحون ويولولون ويتقلَّبون على جمر الغضا متوقعين شرَّ المُنقلب

على ان الشيخ والكاهن وبعض أوجه الضيعة ذهبوا الى امير الكتيبـة وتوسَّلوا اليه ان يعفوا عنهم مبيّنين لهُ ان الاهالي براء لا يعرفون الغدر فلم يسمع لهم مقـالاً . ثم اقبلت النسـاء نائحاتٍ باكيات واطرحنَ على قدميهِ متوسلات فردَّهنَّ خائبات وأبى الَّا الانتقام واعتذر انهُ مأمور يقوم بامر مشير الفيالق الملكيَّة

غير انهُ قال للكاهن: « قـد سمحتُ لك ان تدخل على الاسرى واطلقت لك الحرّية في استعمال كل ما تراهُ مناسبًا من امور دينك واسرارهِ »

فانطلق الكاهن الغيور على وجههِ حتى اتى دار الشيخ حيث كان المساكين محبوسين في الطبقة السفلى. فدخل عليهم فوجدهم في حالة يبكي لها الصخر ويذوب الجلمود. فانهم كانوا مشدودين وثاقاً من ايديهم وارجلهم بحبل واحد وكان اثنان منهم مغمياً عليهما والثالث مُصاباً بحمّى نافض تُرعده كالورقة في مهبّ الريح والرابع والخامس صابرَين على نكبات الدهر وامّا السادس فكان يظهر جَلودًا طلق المحيا ثابت الجنان كأنهُ لا يبالي بما سيتزل بهِ وكان يناهز الاربعين من عمرهِ لهُ خمسة صبيان ايتام الامّ هو عضدهم الاوحد. فشرع الكاهن يُظاهرهم على الرزيّة ويضافرهم على البليّة ويعزيهم باسرار الديانة المسيحيّة ويحثهم على الصبر ويذكرهم باجر الصابرين

فاظهر هذا السادس في اول الامر غاية الصبر والجلد باصغائه الى اقوال كاهن الله الوقور. لكنَّهُ ما لبث ان قنط وأخذ منهُ اليأس مأخذهُ فهبَّ يجدّف ويقذف من الشتائم افظعها ويلعن الطبيعة برمّتها. ثم انتقل من اليأس الى الحزن والتفجّع فبكى صبيتهُ طويلًا. ثم عاد الى القنوط فطفق يلعن ويقول: «سرْ ايها الكاهن وانتني بنيَّ الخمسة لاموت واياهم بجريرة غيرنا فان يموتوا فرائس الظلم والنار خير من ان يموتوا فرائس الجوع والعار»

فلمَّا يئس كاهن الله من تضميد جراحهِ وتسكين روعهِ ووضع السلام في قلبهِ. خرج من السجن ومشى حتى اتى موقف الكتيبة فاستأذن اميرها بالكلام فاذن لهُ. فقال وهو رابط الجأش يلتهب قلبهُ التهابًا بنار الغيرة والحميَّة:

«ايها الضابط لقد ساق اليك القدر ستة رجالٍ من ابناء رعيَّتي فاسرتَهم وحبستَهم وعن قليل تميتهم ولا ذنب عليهم. انما تنكّل بهم بجريرة غيرهم لان الجانين فعلوا ما فعلوا ولاذوا بالفرار. وانما تُنزل بهم هذا العقاب الصارم تأديبًا لغيرهم واذ ذاك فلا فرق عندك ان قتلت زيدًا وعفوت عن عمرو او اهلكت هذا وصفحت عن ذاك. وانا ارى انَّهُ مهما كان الرجل منّا وجيهًا مقدَّمًا في قومهِ مشمولًا عندهم بالكرامة كانت العقوبة أزجر وانفع. والان ايها الضابط لقد اتيتك ملتمسًا منك ان تعفو عن رجل بموتهِ يموت صبيتهُ الخمسة وتقبلني بدلهُ في عدد الضحايا. نعم اننا كلينا بريئان غير انَّ في قتلي عبرة اردع وانجع»

فاجابهُ: لا بأس من ذلك فحياتك بحياتهِ

ومن ثمَّ قادهُ اربعة انفار الى السجن ففكُّوا ذلك الرجل ابا الخمسة الصغار وقيَّدوا الكاهن مكانهُ فقضوا في سجنهم بقية ذلك النهار والليل الذي وليهُ

امَّا ما قاساهُ هؤلاء المنحوسو الطالع من الاوجاع ومـا تجرَّعوهُ من المرارات سحابة الليل فحدّث عنهُ ولا حرج. غير انهُ ما ادبرت النجوم وطلع الفجر حتى كان ذلك الشهم قد احيا في قلوب ابنـائهِ روح الشجاعة وصيَّرهم شهداء لا يرجون غير اكليل الشهادة تتوّج بهِ مفارقهم يدُ ابن الله الفادي

وعند الظهر اخرجوهم وشيَّعوهم نحو الموضع الذي اعدّوهُ لاعدامهم. ففتح رئيس الشهداء كتاب فرضهِ وجعل يتلو فرض الموتى وهو في مقدَّمة اصحابهِ والسكَّان سُجَّد منقسمون الى صفَّين ينظرون الى ابيهم نظرة الوداع ويذرفون الدموع السخينة

وما كادوا يبلغون بهم المقتل حتى اتفق ان مرَّ قائد الفيلق الذي انفصلت منـهُ تلك الكتيبة فلمَّا رأى الكاهن مسوقًا الى القتل عجب وحار في امرهِ فامرهم بالوقوف يسيرًا فوقفوا

ثمَّ اختلى بالضابط واستفهمهُ فاخبرهُ بكلّ ما جرى بينـهُ وبين الكاهن والشيخ والرعيَّة فاستعظم القائد الامر واستفظع الفعل فامر بتأجيل مقتلهم وارسل فاعلم المشير الاكبر الذي كان عاقلًا رزينًا فامر هذا باحضار الكاهن اليهِ

فلمَّا حضر قصَّ عليهِ القصة باوجز عبـارة فسمعها وهو يعجب من غيرة الكاهن وجراءتهِ وبسالتهِ. ثم قال لهُ: « ليس علينا ايها السيد من حرج في قتلك ولست انا قادرًا على استثنائك من غيرك لكنَّني لا اريد موتك. فسرْ وقل لابناء رعيَّتك انني قد برَّأت ساحتهم وعفوت بسببك عن المحكوم عليهم جميعًا ولا تعودوا الى مثل هـذا من الآن فصاعدًا ». فاثنى على المشير وقفل راجعًا الى قومهِ يبشر رفاقهُ بالعفو عنهم

فلمَّا توارى عن العيان قال المشير لاصحابهِ: « لو كان عند سائر الفرنسيس ما عنـد هذا الكاهن من الشجاعة والشهامة لكنَّا غادرنا هذه الديار بصفقة الخائبين »

ديوان

حماسة البحتري

نخبة نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

من جملة الكتب الادبية التي اضحت في عهدنا اعزَّ من بيض الانوق ديوان حماسة ابي عُبادة الوليد بن عُبيـد الشهير بالبحتري. وهو مجموعٌ جليل لم يكد الشرقيون يعرفون اسمهُ لولا ما ورد في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان حيث قال في ترجمة البحتري: «وللبحتري ايضاً كتاب حماسة على مثال حماسة ابي تمام». لكنَّ الله لم يسمح بفقد هذه اليتيمة الفريدة فان خزانة كتب ليدن في هولندة تحتوي بين مخطوطاتها الشرقيَّة نسخةً منها قديمة اسعـدنا الحظ بمطالعتها ونَقْلها بيدنا الحقـيرة في منتصف عام ١٨٩٤ (١

والكتاب المذكور بقطع صغير عدد صفحاتهِ ٤٠٠ يدخل في كل صفحة ١٥ سطراً وليس لهذا الديوان مقدَّمة وانَّما ورد في صدره ما نصُّهُ:

«كتاب الحماسة تأليف ابي عبادة الوليد بن عُبيد البُحتري عفا الله عنهُ. اختارهُ من اشعار العرب للفتح بن خاقان (٢ مُعارضـةً لكتاب الحماسة الذي صنَّفهُ ابو تمام حبيب بن اوس الطائي رحمها الله وعفا عنهما. رواية ابي العباس احمد بن محمَّد المعروف بابن ابي خالد (٣ عن ابيـهِ عن البُحتَري (كذا بفتح التاء والصواب ضمُّها) رحمهُ الله برسم الخزانة السعيديَّة العلويَّة الأجليَّة الفخريَّة عمدها الله ببقاء الامَد»

وهذا الديوان محرَّر بخط حسن لم يُذكر اسم كاتبـهِ. ولعلَّهُ من مخطوطات القرن الرابع او الخامس للهجرة كُتب برسم خزانة بعض الامراء نظنُّهُ فخر الدولة ابن بويه.

---

١) ونتنهز هذه الفرصة لاداء فروض الشكر للعلَّامة المستشرق الشهير دي غوي(de Goeje) ناظر خزانة كتب ليدن الذي اكرم مثوانا وساعدنا في اتمام شغلنا

٢) هو وزير الخليفة المتوكّل الذي قُتل معهُ سنة ٢٤٧ هـ-٨٦١ م

٣) احمد بن ابي خالد الاحول كان من ادباء القرن الثالث للهجرة مختصاً بخدمة المأمون. ولهُ مع المأمون اخبار ذكرها ابو الفرج الاصفهانيّ في كتاب الاغاني (٩: ٦١ و ١٤: ٢٨،٢٧ و ١٨: ٤٠)

والابيات مضبوطة بعض الشكل الّا ان في هذا الشكل اغلاطاً ظاهرة

وليست طريقة البحتري في ديوان حماسته كطريقة ابي تمّام فانّهُ قسم هذا الكتاب الى ابواب شتى يبلغ عددها ١٧٤ باباً ضمَّنها اجود ما وقف عليهِ من طُرَف الشعر القديم لاسيا الشعر الجاهليّ. ومن نظر في هذه الحماسة وجدها اغنى واوسع من حماسة ابي تمّام وتعجَّب كيف شاعت هذه وأُهملت تلك. وقد اورد البحتري في مجموعهِ مقاطيع مستظرفة لنيف وخمسمائة شاعر لم نكد نعرف من امر كثير منهم شيئاً

فدونك البابين الاولين من الكتاب نثبتهما ليعرف القراء فضل المؤلف وقد ضبطناهما بالشكل الكامل (١:

الباب الاول

فيما قيل في حمل النفس على المكروه

١ قالَ عَمْرو بن ٱلإطنابة ٱلخَزْرَجيُّ (١٩) * (وافر):

أَبَتْ لي عِفَّتي وَأَبَى إبائي ... وَأَخْذِي ٱلْحَمْدَ بِٱلثَّمَنِ ٱلرَّبِيحِ

وَإِعطائي عَلَى ٱلْمَعْسُورِ مَالِي ... وَضَرْبِي هَامَةَ ٱلْبَطَلِ ٱلْمُشِيحِ

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ ... مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وَأَدْفَعُ عَنْ مَكَارِمَ صَالِحَاتٍ ... وَأَحْمِي بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحِيحِ

٢ وقالَ عَمْرو بن مَعْدي كَرِب ٱلزُّبَيْديُّ (طويل):

وَقَفْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةٌ ... أُقَاتِلُ عَنْ أَحْسَابِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ

وَجَاشَتْ إِلَيَّ ٱلنَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... فَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَٱسْتَقَرَّتِ

٣ وقالَ شُرَيْح بن قِرْواشٍ ٱلعَبْسيُّ (طويل):

أَقُولُ لِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا ... أَقِلِّي ٱلْعِتَابَ إِنَّنِي غَيْرُ مُدْبِرِ

وَهَلْ غَمَرَاتُ ٱلْمَوْتِ إِلَّا نِزَالُكَ م ... ٱلْكَمِيَّ عَلَى لَحْمِ ٱلْكَمِيِّ ٱلْمُقَطَّرِ

---

١) لهذه الابيات روايات عديدة لم نذكرها هنا حباً بالاختصار وربَّما اثبتناها في طبعة منفردة

* هذه الاعداد تدلُّ على صفحات النسخة الاصليَّة. والوجوه السابقة لعدد ١٩ تحتوي فهرس الابواب

٤ وقالَ عبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ الانصاريُّ (رجز):

يَا نفسِ إنْ لَمْ تُقتَلِي تَمُوتِي ... إنْ تَسلَمِي اليَومَ فَلَنْ تَفُوتِي
أوْ تُبْتَلَيْ فطَالَ مَا عُوفِيتِ ... هٰذِهْ حِيَاضُ المَوتِ قَدْ صَلِيتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعطِيتِ (٢٠)

٥ وقالَ ايضاً (رجز):

اَقسَمتُ يَا نَفسِ لَتُدَلَّنَهْ ... كَارِهَةً أوْ لَتُطَاوِعَنَّهْ
مَالِي أرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّهْ ... قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطمَئِنَّهْ

٦ وقالَ مَعْقِلُ بنُ جَوْشَنٍ الاسديُّ (طويل):

اَقولُ لِنَفسٍ لَا يُجَادُ بِمِثلِهَا ... رُوَيدَكِ أَلَّا تُشفِقِي حِينَ مُشفِقِ
رُوَيدَكِ حَتَّى تَعلَمِي عَمَّ تَنجَلِي ... عَمَايَةُ هٰذَا العَارِضِ المُتَأَلِّقِ

٧ وقالَ عَمرو بنُ مَعدي كَرِب الزُّبَيديُّ (وافر):

وَحُسْنُ كَرِيمَةٍ فِي صَفحَتَيهِ ... نَوَافِذُ بِالأَسِنَّةِ وَالسِّهَامِ
وَوَقْعُ المَشْرَفِيِّ بِحَاجِبَيهِ ... وَوُجْهَتِهِ وَمَا تَحتَ الحِزَامِ
اُقَدِّمُهُ وَيَحمِيهِ عَبُوسٌ ... عَلَى أَكتَادِهِ كُزَّةُ اللِّمَامِ

٨ وقالَ عَنترةُ بنُ شدَّاد (كامل):

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الحُتُوفَ كَأَنَّنِي ... اَصبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعزِلِ
فَأَجَبتُهَا إنَّ المَنِيَّةَ مَنهَلٌ ... لَا بُدَّ أَنْ أُسقَى بِكَأسِ المَنهَلِ
فَاقْنَيْ حَيَاتِي لَا أَبَا لَكِ وَاعْلَمِي ... اَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقتَلِ

٩ قالَ ايضاً (٢١) (كامل):

وَعَرَفْتُ أَنَّ مَنِيَّتِي إِنْ تَأْتِنِي ... لَا يُنجِنِي مِنهَا الفِرَارُ الأَسرَعُ
فَصَبَرتُ عَارِفَةً لِذٰلِكَ حُرَّةً ... نَفسِي إِذَا نَفسُ الجَبَانِ تَطَلَّعُ

١٠ وقالَ مَالِكُ بنُ عَوفٍ (كامل):

وَمُقَدَّمٍ تَجِبُ القُلُوبُ لِضِيقِهِ ... اَقدَمْتُهُ وَشُهُودُ قَومِي أَعلَمُ

وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرِّمَاحِ مُدَجَّجًا مِثْلَ ٱلدَّرِيئَةِ وَٱلْحُرُوبُ تَضَرَّمُ

١١ وقالَ قَطَرِيُّ بنُ ٱلفُجَاءَةِ ٱلْمَازِنِيُّ (وافر):

أَقُولُ لَهَا إِذَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ مِنَ ٱلْأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَا تُرَاعِي
فَإِنَّكِ لَوْ طَلَبْتِ حَيَاةَ يَوْمٍ عَلَى ٱلْأَجَلِ ٱلَّذِي لَكِ لَنْ تُطَاعِي

١٢ وقالَ ٱلفَرَزْدَقُ وقد لقيَهُ في طريقِهِ اسدٌ (كامل):

لَمَّا سَمِعْتُ لَهُ هَمَاهِمَ أَجْهَشَتْ نَفْسِي إِلَيَّ وَقُلْتُ أَيْنَ فِرَارِي
فَرَبَطْتُ نُفْرَتَهَا وَقُلْتُ لَهَا ٱصْبِرِي وَشَدَدْتُ فِي ضَنْكِ ٱلْمَقَامِ إِزَارِي

١٣ وقالَ ٱلعَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ ٱلسُّلَمِيُّ (الكامل):

ٱلْقَاتِلُونَ إِذَا لَقُوا أَقْرَانَهُمْ إِنَّ ٱلْمَنَايَا قَصْدُ مَنْ لَمْ يُقْتَلِ
فَيُعَانِقُوا ٱلْأَبْطَالَ فِي خَمْسِ ٱلْوَغَا تَحْتَ ٱلْأَسِنَّةِ وَٱلْقَتَامِ ٱلْأَطْحَلِ

الباب الثاني

فيما قيلَ في الفتك (٢٢)

١٤ قالَ مَنظُورُ بنُ رَبِيعٍ ٱلْعَامِرِي (طويل):

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي إِذَا رُمْتُ فَتْكَةً بِحَرْبِيَ لَمْ أَنْظُرْ بِهِ أَنْ يُبَادِيَا
وَأُقْدِمُ إِقْدَامَ ٱلسِّنَانِ وَيَتَّقِي بِيَ ٱلْأَشْوَسُ ٱلصِّنْدِيدُ إِنْ كَانَ عَادِيَا

١٥ وقالَ ايضاً (طويل):

وَكُنْ رَجُلًا ذَا مِرَّةٍ وَحَصَافَةٍ يُلَاقِي ٱلعِدَى مِنْهُ بِغِلْظَةِ جَانِبِ
وَلَمْ تَرَ مِثْلَ ٱلْفَتْكِ أَنْهَى لِمُجْرِمٍ وَلَاسِيَّمَا بِٱلْمَاضِيَاتِ ٱلْمَضَارِبِ

١٦ وقالَ المرّار بن سعيد الأسدي (طويل):

هَمَمْتُ بِأَمْرٍ أَنْ يَكُونَ صَرِيمَةً زَمَاعًا وَأَنْ لَا يُدْرِكَ ٱلْمَهْلَ زَاجِرُ
وَمَا ٱلْفَتْكُ بِٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي أَنْتَ نَاظِرٌ بِهِ عَاجِزَ ٱلْأَصْحَابِ مِمَّنْ تُؤَامِرُ
وَمَا ٱلْفَتْكُ إِلَّا بِٱلَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ إِمَارٌ وَلَمْ تُجْمِعْ عَلَيْهِ ٱلْمَشَاوِرُ

١٧ وقالَ ضَابِئُ بنُ ٱلحرثِ ٱلبُرْجُمِيُّ (طويل):

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ فَكَانَ ٱلْمُعْوِلَاتِ حَلَائِلُهْ

وَمَا ٱلْقَتْلُ مَا شَاوَرْتَ فِيهِ وَلَا ٱلَّذِي ... تُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ فَاعِلُهْ

١٨ وقالَ حارِثَةُ بنُ بَدْرٍ التَّيمِيُّ (طويل): (٢٣)

لَا تَلْتَمِسْ أَمْرَ ٱلشَّدِيدَةِ بِأَمْرِئٍ ... إِذَا رَامَ حَزْمًا عَوَّقَتْهُ عَوَاذِلُهْ
وَقُلْ لِلْفُؤَادِ إِنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةً ... مِنَ ٱلرَّوْعِ أَفْرِخْ أَكْثَرُ ٱلرَّوْعِ بَاطِلُهْ
وَمَا ٱلْفَتْكُ إِلَّا لِأَمْرِئٍ رَابِطِ ٱلْحَشَا ... إِذَا حَالَ لَمْ تُرْعَدْ إِلَيْهِ خَصَائِلُهْ

١٩ وقالَ ٱلحارثُ بنُ ظالِمٍ المُرِّيُّ (طويل):

عَلَوْتُ بِذِي ٱلْحَيَّاتِ مَفْرِقَ رَأْسِهِ ... وَهَلْ يَرْكَبُ ٱلْمَكْرُوهَ إِلَّا ٱلْأَكَارِمُ
فَتَكْتُ بِهِ لَمَّا فَتَكْتُ بِخَالِدٍ ... وَكَانَ سِلَاحِي تَحْتَوِيهِ ٱلْجَمَاجِمُ

٢٠ وقالَ عَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ (طويل):

مَا يُؤْمِنُ ٱلْمَرْءُ ٱلَّذِي بَاتَ طَاعِمًا ... وَبَاتَ عَلَى ظَهْرِ ٱلْفِرَاشِ ٱلْمُمَهَّدِ
جِنَايَةَ مِثْلِ ٱلسَّيِّدِ يُصْبِحُ طَاوِيًا ... وَيَأْوِي إِلَى جُرْثُومَةٍ لَمْ تُوَسَّدِ

٢١ وقالَ مَسْعُودُ بنُ عَبْدِ اللهِ الأَسَدِيُّ (كامل):

سَائِلْ بَنِي يَرْبُوعَ إِنْ لَاقَيْتَهُمْ ... عَنْ ضَيْفِهِمْ يُخْبِرْكَ عَنْهُ خَابِرُ
نَامُوا وَبِتُّ أُعِدُّ سَيْفِي فِيهِمِ ... إِنِّي بِقَتْلِهِمِ ذُؤَابَ ثَائِرُ
قَالُوا غَدَرْتَ فَقُلْتُ أَنِّي وَرُبَّمَا ... نَالَ ٱلْعُلَى وَشَفَى ٱلْغَلِيلَ ٱلْغَادِرُ

مطبوعات شرقية جديدة

Contributions towards arabic Philology
by Dr Paul Bronnle.

The Kitab al Maksur wa'l Mamdud by Ibn Wallad

كتاب المقصور والممدود لابن الولّاد (طبع ليدن ١٩٠٠ الجزء الاول ص١٦٧)

باشر الدكتور بولس برونله بنشر مجموع لغوي ذي عشرة اقسام يتضمَّن من نفائس تآليف العرب ما كنَّا نخاف ان تكون اغتالتهُ يد الضياع ككتاب الازمنة لقطرب وكتاب الاضداد لهُ وكتاب خلق الانسان للزجّاج وكتاب العشرات لابن خالويه

وكتاب المنضّد لابن الهناني وكتاب التنبيهات على اغاليط الرواة وغير ذلك. واليوم قد اطرفنا جناب الدكتور بالجزء الاول من هذه الطرائف اللغويّة وهو يحتوي كتاب المقصور والممدود لابي العبّاس احمد بن محمد المعروف بابن الولاد المتوفى سنة ٣٣٢ (٩٤٣م). جمع فيهِ مؤلفهُ الالفاظ المختومة بالف مقصورة او ممدودة ما كان منها مقيسًا او غير مقيس وابتدأ بما كان متفرّقًا منثورًا ممّا لا قياس لهُ ثمَّ أتبعهُ بما كان مضبوطًا تحت قياس. وجعل الالفاظ على ترتيب حروف المعجم ليقرب وجود الحرف على طالبه ويسهل استخراجهُ من موضعهِ وقد اتى المؤلف لكل لفظة بعدَّة شواهد من الشعر القديم. ومن خواصّ هذه الطبعة انها نُقلت عن اربع نسخ قديمة كُتب واحدةً منها وهي نسخة المتحف البريطاني الحسنُ بن عبد الله الطرابلسي بعد وفاة المؤلف بقليل سنة ٣٦٥ فقابل الدكتور برنله بينها واثبت في ذيل الكتاب ما فيها من الاختلافات. ومنها ايضًا ضبطُها بالشكل كلَّ ما دعت اليهِ الحاجة. والدكتور المرقوم سيلحق هذا الجزء بقسم ثانٍ يودعهُ ما وجدهُ من التفاسير والشروح على هذا الكتاب ويختمهُ بفهارس جزيلة الفائدة. فنسأل الله ان يجازي ناشر هذا الكتاب ويُلهم ادباء الشرق ان يتأثروا آثارهُ في إحياء ما كان دفينًا من كنوز آداب الاقدمين مع حسن القيام بطبعها وضبطها

G. Gabrieli : 1° *Fonti semitiche di una leggenda Salomonica*, 1900. pp. 74 — 2° *Il culto degli Antenati e l'avversione agli Stranieri nell' antica letteratura storica e nella vita sacra della Cina, Napoli*. 1900, pp. 34

هما مقالتان مفيدتان للدكتور يوسف غبرئيلي مدار الاولى على قصّة بلقيس وسليمان والهدهد التي شاعت عند العرب والحبش والاقباط فبحث المؤلف عن اصلها وذكر ما ورد عنها في تآليف هؤلاء الشعوب ثمَّ بيّن ما فيها من الصحّة والخرافات. ومدار الثانية عن الصينيين وما طُبعوا عليهِ من المحافظة على سُنن اجدادهم مع البغض لكلّ عنصر غريب واثبت ذلك بنصوص من كتب الصين الدينية وتخلّص منها الى ذكر الحوادث المفجعة التي فشت هذه السنة في تلك المملكة الكبرى

كتاب اخويّة الميتة الصالحة

للاب بيرون اليسوعي

عرّبهُ الاب الفاضل الخوري نقولا صفير . طُبع في مطبعة الارز ١٩٠٠، ص٢٢٧

يحتوي هذا الكتاب المفيد كلَّ التعليمات اللازمة لمعرفة اخويَّة الميتة الصالحة واصلها وقوانينها والنعم الجليلة المتعلّقة بهذه الشركة التي أتت باثمار يانعة من الفضائل المسيحية في كل المعمور مذ انشأها سنة ١٦١٧ الرئيس العام على الرهبانيَّة اليسوعية الاب كرافا . ولا شك انَّ تعريب هذا الكتاب يعين المؤمنين على ممارسة الاعمال التقويَّة التي تُعدُّهم احسن اعداد لملاقاة ربّهم في ساعة الوفاة ل . ش

NOTICE SUR LE LIBAN

par Washington - Serruys, Beyrouth, 1900, pp. 45

تعريف لبنان للاديب وشنتون سرُّوس (مقالة افرنسيّة)

تتضمَّن هذه الكراسة مع قلّة اوراقها فوائد جمّة عن لبنان واحواله المختلفة لا تكاد تلقاها مجموعةً في مثلها . وانما ساءنا ما وجدناهُ فيها من الاعلامات غير الصحيحة كنسبة المؤلف (ص٧) جسر نهر الكلب القديم الى الرومان وهو يريد العرب . — وكقوله (ص٧) ان معظم البرد الذي شعر به اهل برمَّانا بلغ ٤ درجات « فوق الصفر » وهو يريد تحت الصفر . — وكقوله (ص ٢٧) ان الطرق التي فُتحت في عهد ولاية دولتلو نعوم باشا تبلغ ٥١٠ كيلومترات بعد ان قال انَّ مجمل طول الطرق اللبنانية ٥٥٠ كيلومترًا دون ان يستثني الطريق الشامية (٤٥ ك) المارة بلبنان . — ونسي ذكر غابة الارز التي بين نيحا والحدث . — ونرى مبالغة في اعداد كثيرة كعدد الرهبان في لبنان (ص ٢٣) وعدد المدارس (ص ٢٠) الى غير ذلك من الاغلاط التي لنا الامل ان تُصلح في طبعة ثانية مع الاغلاط الطبعية العديدة التي تشوّه هذا المجموع ه . ل

شَذَرَات

عاديَّات تونس — اكتشف مدير الفنون والعاديَّات في تونس المسيو غوكلر (P. Gauckler) قريبًا من تونس في تلّةٍ مجاورة للبرج الجديد اثرًا جزيل الاعتبار من آثار قرطجنة القديمة وهو دار الغناء (Odéon) الذي ابتناهُ ڤيجليوس

ساترنينوس القنصل الروماني في القرن الثاني للمسيح وورد ذكره في اعمال معلّم الكنيسة ترتليان الشهير. ومما يزيد هذا الاكتشاف خطرًا انّ البناء المرقوم كان مركزًا لابنية أُخر عديدة يُؤْمل وجودها عمّا قليل

عاديّات رومية العظمى — اكتشف الاستاذ بوني (Boni) متولي حفر عاديّات رومة: ١ً البالوعة الكبرى التي امر ببنائها ملك رومة تركوينس الاقدم في القرن السادس قبل المسيح. وقد وُجد فيها آثار خزفيَّة وكتابات يونانيّة وإترسكيّة. ٢ً منبر الخطابة (rostres) الذي شُيّد في ايام يوليوس قيصر. ٣ً كنيسة قديمة ملكيّة (basilique) على جبل پالاتين تحت اساس الكنيسة الحاليَّة المعروفة بسيدة النجاة (Ste Marie Libératrice) يرتقي عهدها الى القرن الثالث للميلاد

ترقّي التلغراف بلا اسلاك — لا يزال التلغراف بلا اسلاك في ترقٍّ دائم. ومن الخدم الجليلة التي اداها في فصل الشتاء الماضي ان سفينة روسيَّة مدرَّعة كاد يتلفها في الجليد خليج فنلند المحدق بها من كل جهاتها لولا تلغراف بلا اسلاك انبأ بمصابها اهل مدينة كوتكا (Kotka) وهي بعيدة عنها بنحو ٥٠ كيلومترًا فارسلوا للحال سفينة اخرى مجهَّزة بآلة لكسر الجليد فخلَّصتها بعد ٨٤ يومًا وفي هذه المدّة دار بين السفينتين ٤٤٠ تلغرافًا كان يحتوي بعضها على مئة كلمة ونيّف

تنبيه — نبهت مجلة الضياء خاطرنا الى اصلاح غلطة وردت في الالفاظ الكتابية (ص ٢٤٦) حيث جاء « ما تعا في ذلك » وصوابهُ « ما تعاجم في ذلك » وهي غلطة وقفنا عليها بمقابلة نسختنا الاصليَّة مع نسختيّ لندرة وليدن سنة ١٨٩٣ وأُهمل اصلاحها سهوًا في الطبعات السابقة

اسئلة واجوبة

جوابنا على سؤال حضرة القس جرجس منش (راجع ص ١٠٥٥)

انّ كتاب العفَّة الذي اكتُشف حديثًا يبيّن شيئين اولًا انّ اسحاق اسقف نينوى لم يكن في القرن السادس بل في اواخر القرن السابع. ثانيًا انهُ لم يكن متشيّعًا بشيعة اليعاقبة كما روى ذلك زورًا صاحب الكتاب الذي نقل عنهُ السمعاني

في المكتبة الشرقية. امّا كاثوليكيّتهُ فأمرٌ لا نجزمُ بهِ وانّما نرجحهُ فقط. وفي مطاوي ترجمتهِ في كتاب العفّة ما يشير الى ذلك والله اعلم

س سُئلنا عن المؤمن الذي يحضر قداساً يشترك فيهِ بالتقديس كهنة اربعة هل يمكنهُ ان يفي اربعة قدّاسات مفروضة عليهِ باستماع هذا القدّاس

استماع قدّاس يشترك فيهِ كهنة كثيرون

ج انّ المؤمن لا يفي بما فُرض عليهِ لانّ الذبيحة واحدة مع تعدُّد المشتركين فيها. غير انّهُ يمكنهُ ان ينال اجرًا اعظم اذا شرك نيّتهُ بنيّات الكهنة المقرّبين.

س وسأل حضرة الخوري نعمة الله نصّار والاخ مبارك البكتاوي: ١ْ لاي سبب دُعيت البتول العذراء في الفرض السرياني في اللحن الثاني من صلاة مساء الاربعاء سِتر سليمان (ܣܬܪܐ ܕܫܠܝܡܘܢ) وارض داود العطشى (ܐܪܥܐ ܕܨܗܝܐ ܕܕܘܝܕ) وجرَّة اليشاع الجديدة (ܩܘܩܐ ܚܕܬܐ ܕܐܠܝܫܥ). ٢ْ لماذا يقدَّم في مزامير داود سحر السبت على سحر الجمعة لماذا دُعيت العذراء ستر سليمان الخ

ج جوابنا على (الاول) انّ العذراء دُعيت ستر سليمان لأنّها حجبت جلال اللاهوت لمّا تأنّس في احشائها ابن الله كما كان يحجب ستر هيكل سليمان قدس الاقداس عن الانظار. ودُعيت ارض داود العطشى تلميحًا الى ما جاء في المزامير (٦١: ٣) يريد ان نفس العذراء كانت عطشى الى مجيء المسيح كما كانت نفس داود عطشى الى بيت الرب. ودُعيت جرّة اليشاع اشارةً الى الاناء الذي توفر زيتهُ على يد اليشاع (٤ ملوك ١–٧) فالزيت رمز الى المسيح الذي اغنى العالم مذ تجسّد في بطن البتول الطاهرة. وجوابنا على (الثاني) نؤجلهُ لمرّة اخرى ل. ش

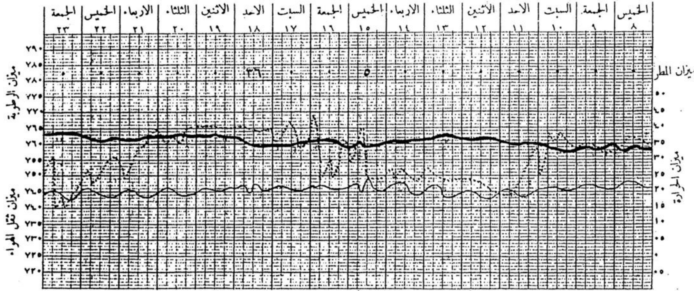
س وسأل الاديب رزق الله عبّود من حمص. اذًا تعرفون عن ولاية فينيقية لبنان

ج انشأ هذه الولاية الملك الروماني ديوقليان وجعل حاضرتها مدينة حمص وكان يدخل في حكمها بلاد تدمر ودمشق. وكانت تخومها في الشمال سوريّة الثانية المعروفة بسوريّة الطيّبة (Syria salutaris) وكانت قاعدتها افامية المدعوّة اليوم قلعة المضيق. وفي الشمال الشرقي سوريّة الفراتيّة التي قاعدتها منبج. وفي الجنوب فلسطين الاولى وقاعدتها قيصريّة مع بلاد عربيّة وقاعدتها بُصرى. وفي الغرب فينيقية الساحليّة وقاعدتها صور ه. ل

س وسأل احد المعلمين الافاضل قرّاء المشرق ما هي الالفاظ الموافقة لكلمات الفرنج الآتي ذكرها في اصطلاح التجّار

Manifester des marchandises — Ouvrir un crédit à qqn. — Lettre de crédit — A forfait — Spéculer. spéculation — Reserver bon accueil à une traite — Un protêt ; protester une lettre de change — Poids brut *ou* net ; bénéfice brut *ou* net : sucre brut — Lettre chargée, recommandée, affranchie — Traite ; lettre de change ; remise ; mandat ; billet ; effet — Assurer des marchandises ; prime d'assurance — Agio, agiotage.

قائمة للآثار الجوية من ٨ الى ٢٣ تشرين الثاني ١٩٠٠



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) اما الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملِمترات